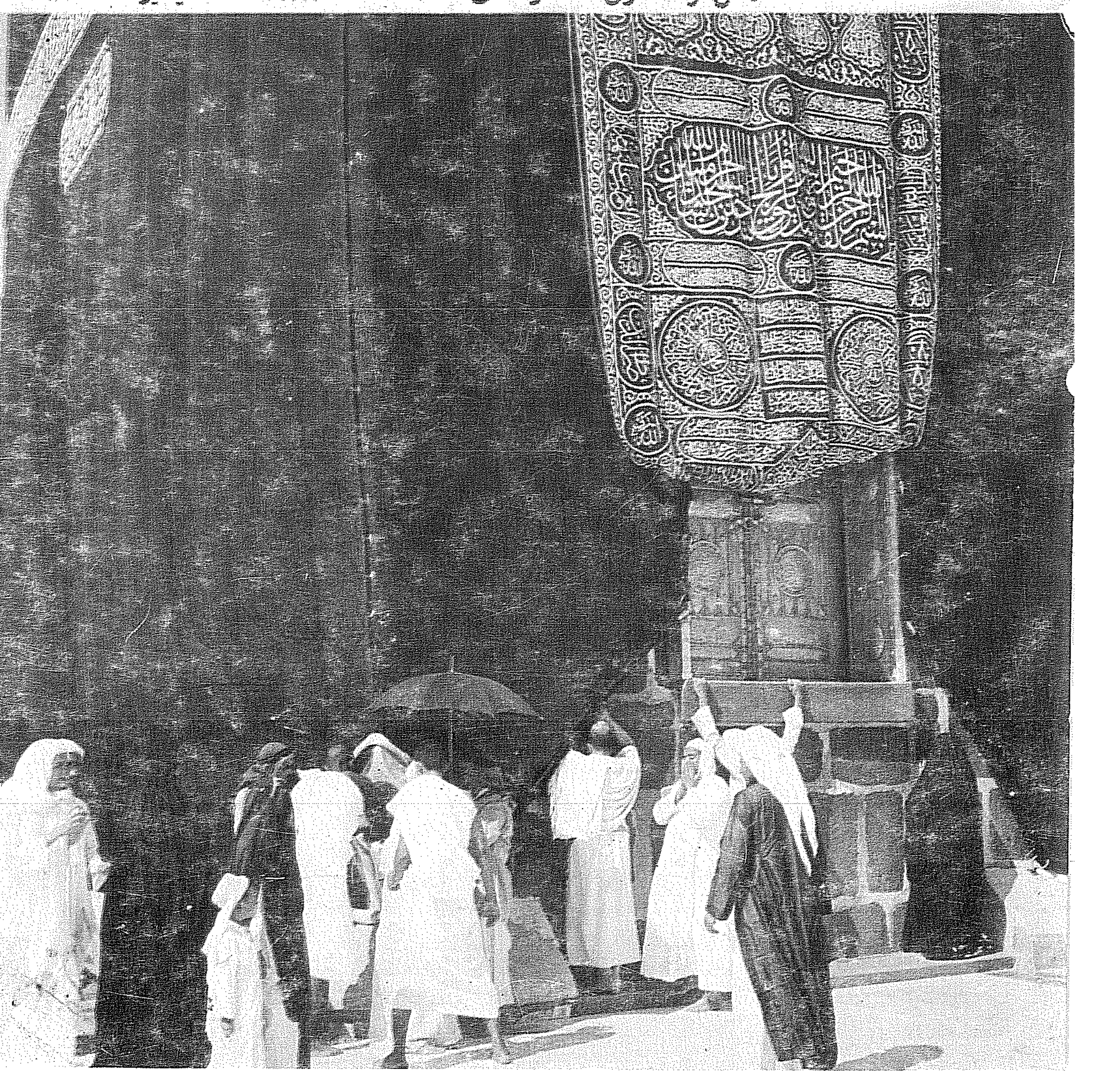
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

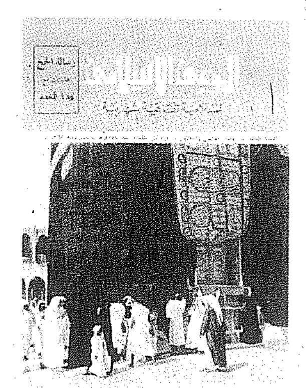
السنة الثالثة — العدد الخامس والثلاثون — غرة ذى القعدة سنة ١٣٨٧ هـ — يناير سنة ١٩٦٨





سمو أمير البلاد المعظم وجلالة الامبراطور الايرانى يستقلان المركبة الملكية عند وصول سموه الى العاصمة الايرانية .

صورة الغلاف



باب الكعبة المشرفة
هنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات ويقف المسلمون خاشعين لله رب العالمين ..

تصوير « عظمت شيخ »

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الخامس والثلاثون

— السنة الثالثة —

غرة ذي القعدة سنة ١٣٨٧ هـ

يناير سنة ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط
في الكويت ١ دينار
في الخليج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت



احتفلت البلاد الاسلامية فى شهر رمضان بذكرى مرور ألف وأربعمائة سنة على افتتاح نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذلك البدء الذى كان ايذانا بافتتاح عهد جديد للبشرية ، تسير فيه على رشد وهدى ، ولا تجد فى طريقها ما يوئدها ، أو يعطل سيرها نحو السمو الانسانى ..

وحين جاء القرآن ، واستوعبه العرب ، فتح الطاقة الكامنة فيهم ، أو بلغة العصر الذرية ، فجر الطاقة النووية فى هذه الامة ، فصنعت الاعاجيب فى ميدانى الروح والمادة ، وحملت مشعل الهداية الربانى الجديد للأمم حولها ، فهدى الله بها من يشاء لهم الهدى ، وفى المجال النووى للطاقة الجديدة تكونت الأمة الاسلامية ، وصار المسلمون عمالقة التاريخ : أساتذة العالم ، وصناع الحضارة ، وهداة الطريق ..

ووقف التاريخ صفحاته على العرب وعلى المسلمين فى كل مكان ، يسجل مفاخرهم ، وينقل بطولاتهم ، ويشيد بمآثرهم فى كل ميدان من ميادين الحياة ..

ولم يصنع كل هذا المجد لأمة العرب وللمسلمين جميعا الا القرآن الكريم ، وصدق بهذا قول الله العليم الخبير يخاطب رسوله الامين « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » وقوله يخاطب العرب الذين نزل القرآن فيهم وبلغتهم « لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » .

ولقد كانت الميزة لهؤلاء الاول الذين خاطبهم القرآن ، واستنهض فيهم العقول ، كى تفكر وتعمل ، أنهم اجابوا جوابا عمليا عن هذا الاستنهاض « أفلا تعقلون » فكان حالهم يقول : بلى يا رب عقلنا وفهمنا ، وخطونا على الطريق ، وعملنا بما أردت أن يكون ، وبما أمرت أن نعمل ، فتحقق فينا وبنا وعدك سبحانك ، وصرنا بذلك سادة الدنيا ، بعد أن كنا رعاة ابل وشياه ، وأصبحنا معلمي الدنيا ، بعد أن كنا أمة أمية لا تعد ولا تحسب . وصارت كلمة العرب أو المسلمين كلمة لها وقعها ، ولها صداها فى النفوس ، ولها مجالها فى سجل التاريخ .. وكان كتابك الكريم هو الذى صنع منا كل هذا ، ولك الفضل والمنة .

وسار التاريخ فى ركاب العرب والمسلمين من غير العرب ، ما ساروا مع هذا الكتاب ، وفى ظل هديه وحمايته ، فاذا ما ابتعدوا عن ظله لفحتهم نار الحياة ، وتاهوا فى الظلمات ، فتلقفتهم الايدى الحاقدة ، وعضهم الناب المسعور ، وظل القرآن كما هو ، يحفظه الله الذى أنزله ، وكأنه يمد شعاعه اليهم ليهتدوا به فى متاهاتهم ، وليحفظ لهم ما بقى من حياتهم .. وهم كلما

اقتربوا منه ابعدهم الشيطان والغرور عنه ، وقذفهم الموج ، لأنهم لم يحسنوا السباحة اليه ، ولم يصوبوا النظرة نحوه .. وكأنه يناديهم بصوت جهير : الى ابنائى ، الى شاطىء الامن ، لتبدءوا حياتكم الجديدة ، قوية سعيدة كما بدأها الذين من قبلكم ، وكأنهم لا يسمعون الا صدى ، وكأنهم عمى عليهم مصدر النور ، فظلوا يتخبطهم الموج من كل مكان .. وتحيط بهم سباع البحر ، تفتح أفواهها لتجد فيهم غذاءها ، وهم يصرخون ، يطلبون الانقاذ ، وصراخهم يضيع ، وينكسر على الموجات العاتية ، لأنهم بعيدون عن الشاطىء ، ولأن هممهم فاترة ، ولو انهم ابصروا الشاطىء والضوء الذى ينبعث منه ، وشدوا عزائمهم ، لاقتربوا شيئا فشيئا من شعاعه ، ووجدوا حبال النجاة تسعفهم ، وتنقذهم من الأخطار المحدقة بهم .

ان الفنار هو الفنار . نوره من نور الله .. لا ينال منه عبث العابثين ، ولا للتائهين والمشرفين على الهلاك « فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها » .

ان الفنار هو الفنار نوره من نور الله .. لا ينال منه عبث العابثين ، ولا حقد الحاقدين ولا اعراض المعرضين .. « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » .

لقد عز المسلمون بالقرآن ، وعاشوا بعد ضعفهم عالة على القرآن ، ولم يعش القرآن عالة عليهم ، ولو كان بقاء القرآن منوطا بهم ، لما ظل بيننا كما هو ، من كثرة المؤامرات عليه من اهله ومن غير أهله !!

ولقد عاشت لغة العرب وازدهرت بالقرآن ، وظلت برغم المحن التى أحاطت بها ، والضربات التى نزلت عليها ، صامدة بالقرآن ، ولولاه لاندثرت وبادت ، كما اندثرت لغات قديمة ، كانت لغات حضارة وأمم قوية .

لولا القرآن لما كان العرب أمة لها وزنها حتى فى ابان ضعفها ، وما جاوزت لغتهم جبال الجزيرة ووديانها وصحاريها ، وما صارت كما هى الآن : لغة أمم لم تكن أصلا أمما عربية ، ولكنها صارت عربية بالقرآن ، وأحبت العربية وعشقتها من أجل القرآن ، وما صارت لغة حية بين أمم العالم فى المؤتمرات والاذاعات من كل مكان .

وصدق الله العظيم « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

لقد احتفلت الامم الاسلامية بنزول القرآن .. وانها لبادرة طيبة كانت « مجلة الوعي » أول من نبه اليها فى عدد ربيع الاول من هذا العام — وانها لمناسبة كريمة ، نرجو أن تفتح القلوب وتنير العيون ..

اننا نحيى هذه الظاهرة التى تسابقت اليها الدول والامم الاسلامية .
ولكن لا بد لنا مع سرورنا بهذه الظاهرة من كلمة ؛ لا أعتقد انها فاتت الكثيرين ممن احتفلوا أو تحدثوا أو سمعوا لما القى فى هذه الاحتفالات من كلمات طيبة ؛ تحدثت عن القرآن ؛ وهديه ونوره وفضله .
ان القرآن الذى نحتفل بذكرى نزوله هو اولا واخيرا هداية ودستور ونظام ؛ لم ينزله الله لكى نلتمس به البركة ؛ او نترحم به على الاموات ؛ أو نجعل بعض آياته أحجبة وتمائم .

ان القرآن ليس نصبا تذكاريا لقبر جندى مجهول ؛ انه حياة .. نظام .. مبادىء ؛ أفهم أن الذين يحتفلون به يتعصبون لمبادئه ؛ ويتمسكون بهديه ؛ ويلتزمون بنظامه ؛ ويعضون على ذلك بالنواجذ .
لا أريد أن أدخل فى تفاصيل ؛ وانما الذى اريده وانادى به ؛ أن نكون متجاوبين فى عملنا مع كلامنا عنه ؛ القرآن هداية ونظام ومبادىء سليمة للحياة ؛ هذا بالطبع حق وصحيح .. فما الذى يحول بيننا وبين رعاية هذه النظم والمبادىء ؟!
ألا يجد القرآن الكريم كلام الله من اتباعه والمؤمنين به حماسا كحماس الشيوعيين لملهمهم الاكبر « ماركس » وكتبه ومبادئه ؟!
الا يجد القرآن منا نحن المسلمين من يحمى مبادئه ونظمه ؛ كما تحمى الدول ذات الانظمة الخاصة مبادئها ونظمها ؛ وتدافع عنها ؛ وتسخر كل قواها فى الحفاظ عليها ؟!

الا يجد القرآن منا عناية مركزة لتنشئة أبنائنا على هديه وآدابه ؛ كما يعنى أهل المذاهب الاخرى بتنشئة الصغار على مبادئهم ونظمهم ؟!
الا يجد القرآن ومبادئه غيرة عليه ؛ وحماية لحرماته ؛ كما تجد بعض المذاهب من اصحابها غيرة عليها ؛ وحماية لها من الانحراف عنها ؟!
اننى لا أطالب الآن بشىء فوق الطاقة ؛ ولكنى أطالب فقط أن نغار على مبادىء القرآن وآدابه ؛ كما نغار على النظم المسنونة ؛ ونؤاخذ كل من يخرج عليها .
اريد فقط أن نأخذ من مبادىء القرآن وآدابه خطا نسير عليه ؛ ونلتزم به ؛ ونضع قوة الدولة واجهزتها للمحافظة على هذا الخط ؛ وهذا الاتجاه .
ان من يشتم من كلامه أو من سلوكه مخالفة للتعاليم الماركسية فى الدول التى اتخذت من تعاليم ماركس نظاما لها ينال عقابه ؛ ويحرم من وسائل الحياة المعتادة ؛ ان لم يحرم كليا من حياته ..
لا أريد أن تأخذ طائفة على عاتقها وحدها مهمة الحفاظ على الدين ؛

أو احتكار الغيرة عليه ، وتوعد المخالفين له بالويل والثبور . . وكأن حفظ الدين ، والغيرة عليه ، والمحافظة على آدابه قد ألقى عبؤه عليهم وحدهم !!

بل أريد أن يكون الجميع : الحاكم والمحكوم ، الصانع والزارع ، الموظف والتاجر ، أريد أن يكونوا كلهم مسئولين عن هذا الدين ، غيورين على تعاليمه ، عاملين ما استطاعوا على الحفاظ عليه .

ان الدين دين الجميع ، وكل واحد منا مسئول عنه ، وعما يعمله في بيته ، وفي دائرة نفوذه من أجله . . واذا كانت الضرورة تقضي بالتخصص العلمي فيه للارشاد وللتعليم ، فان رعايته والعمل على تنفيذه من مسئولية كل واحد منا ، مهما يكن مركزه ، ومهما يكن عمله . .

بل قد تكون المسئولية على من يقدر على العمل والتنفيذ مسئولية مضاعفة ، على قدر حظه من النفوذ « وان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » كما قال الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه .

ان عدم تقدم أصحاب النفوذ لحمل مسئولياتهم كاملة تجاه القرآن ومبادئه في أممهم ، يجعل فريقا في الامة يسير وحده لتحمل مسئولياته ، في الوقت الذي يجعل فيه من الامة الواحدة شطرين ، فتعيش بروحين وشخصيتين : شخصية حين تدخل المسجد ، أو تقرأ ، فتسمع كلاما ، وتتصور حياة ، وشخصية حين تترك ذلك فتسمع كلاما آخر ، وتعيش حياة أخرى ، وتجد فرقا كبيرا بين هذا وذاك !!

فكيف تتوحد الامة — اذن — في شعورها ، وفي ولائها واخلاصها واتجاهاتها ؟ ولأى اتجاه تدين بالاخلاص ؟

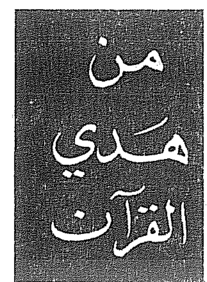
لست أعنى بذلك قطعا أن كل نظم الحياة التي نحياها بعيدة عن مجال الاسلام ، ولكنى أريد أن نلتزم خطا في حياتنا ونظمنا يتفق مع مبادئنا ، كما تلتزم دول أخرى خطا يتسق مع مبادئها ، وأن نستهدف في كل ما نعمل أو نقول روح الاسلام فعلا ، وأن نعلن ذلك للناس ، ولا نستحى أو نجبن أن نعلن أن ولاءنا الوحيد هو للاسلام . ونسير — ولو بالتدريج — حسب هذا الولاء ونحو التمام .

ذلك ما يوحيه منطق احتفالنا وعنايتنا بنزول القرآن ، وما ألقى فيه من كلمات ، حتى لا نكون ممن قال الله فيهم : « يا يها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

ولقد أعزنا الله بالاسلام ، ومن راح يلتمس العزه بغيرة أذله الله .

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد



متى يكون نصر الله ؟!

للشيخ عبد الجليل عيسى
شيخ كليتى اصول الدين واللغة العربية سابقا
جامعة الأزهر

يقول الله تعالى :

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور . اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا آن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » صدق الله العظيم .

(آيات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من سورة الحج)

تسربت فى هذه الأيام وسوسة جنود ابليس الى بعض صدور رق ايمانها هامسة : أين نصر الله الذى وعد به المؤمنين ؟ فأحببت أن أسهم فى ذود هذه الوساوس عن هذه الصدور ، التى يعز على عنتها وحيرتها ورأيت أن أضع أمامهم شرح هذه الآيات الكريمات :

ولعله ينبغى لنا أولا أن نتعرض لتوضيح ما حوته الآية الاولى من مفردات وهى :

(ان) التى للتوكيد ، و (يدافع) ، و (الذين آمنوا) ، و (خوان) ، و (كفور) .

اما التأكيد الذى يهمنا هنـــا ، وهو توكيد وعد الله بنصر المؤمنين ، فهو متبوع بتوكيدات أخرى فى هذه الآيات الثلاث ، فالثانى والثالث فى الآية (٣٩) والرابع والخامس والسادس والسابع فى الآية (٤٠) . وما هذه التوكيدات السبع فى موضوع واحد الا لأنه موضوع خطير ، تتقاعس عن ولوجه كثير من النفوس المريضة ، التى يلوى اعناقها حب الدنيا وزينتها ، ذلك الموضـــوع هو القتال فى ســـبيل الله والدفاع عن العقيدة . اقرأ فى ذلك قوله تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » آية ٢١٦ من سورة البقرة .

ومما جاء فى القرآن فى هذا المجال مؤيدا لما جاء فى هذه الآيات الأربع من نصر الله قوله تعالى فى هذه السورة نفسها : (ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله) (آية ٦٠ سورة الحج) ، وقوله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون **وعدا عليه حقا** فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (آية ١١١ من سورة التوبة) .

وقوله سبحانه : « ولقد أرســـلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان **حقا علينا نصر المؤمنين** » (آية ٤٧ من سورة الروم ، وكذلك آيات ٤٠ الأنفال و ١٠٣ يونس و ٩٦ النحل ، و ١٧١ ، ١٧٢ الصافات) .

(يدافع) هذه الصـــــيغة أصلها للدلالة على المدافعة بين جانبين ، تقول العرب :

ضارب على زيدا اذا كان الضرب حصل من كل منهما ، وهذا المعنى هنا مستحيل ، لأن الله سبحانه لا يقدر مخلوق على دفعه عما يريده . واذن يكون المراد منها هنا الدلالة على تكرار الدفع المرة بعد المرة كلما حاول عدو المؤمنين ايذاءهم . ويدل على ذلك القراءة السبعية الأخرى لابن كثير وعاصم (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) . فالمعنى أن الله يدفع عن الذين آمنوا شر أعدائهم كلما حاولوه ، ومهما تكرر .

(عن الذين آمنوا) : من هم المؤمنون الذين ضمن الله ســـــبحانه الدفاع عنهم ؟ اذا علمنا ما هو الايمان الحق علمنـــا من هم المؤمنون حقا ، واذا علمنا ذلك نعلم سبب ما نحن فيه اليوم .

وانا واثق أننا اذا أعملنا الفكر ، ودققنا النظر ، فانا نكف عن بعثرة اللوم على الناس شمالا ويمينا ، ونكدسه على رؤوسنا نحن ، لأننا نحن الذين بأعمالنا كنا السبب فى كل ما حصل ، عند ذلك نسارع بجد واخلاص الى تغيير ما نحن فيه من انحراف عن تعاليم ربنا ، فاذا نحن فعلنا ، أصلح الله أحوالنا : (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفســــهم وان الله سميع عليم) آية ٥٣ الأنفال .

ان الايمان الذى رضيه الله لعباده الصادقين جاء بيانه فى القرآن الكريم مرارا ، وشرحه صلى الله عليه وسلم على اتم وجه ، روى البخارى والنسائى وأبو داود عن ابى ذر وابى هريرة قالا : سأل جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال : الايمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وفى رواية حلوه ومره :

أما متى يتحقق هذا الايمان ؟ فقد رأى البخارى انه لا يكون الا اذا اثمر عملا صالحا . وأخذ ذلك من أمور . منها : انه صلى الله عليه وسلم قال : « الايمان

بضع وستون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله . وأدناها اماطة الأذى عن الطريق » رواه مسلم أيضا .

قال البخارى : ويدل على ذلك قوله تعالى : (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) (آية ٧٢ من سورة الزخرف) وقوله : « ان المتقين فى جنات ونعيم . فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون » (آيات ١٧ و ١٨ و ١٩) من سورة الطور .

ومنها جوابه صلى الله عليه وسلم لمن سأله (أى العمل أفضل ؟) قال : الايمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله .. الخ .

وقال البخارى أيضا فى (باب خوف المؤمن أن يحبط عمله) : قال : عن ابراهيم التيمى (١) قال ما عرضت قولى على عملى الا خشيت أن اكون مكذبا .

ومنها ما رواه البخارى ايضا عن أبى مليكة (٢) قال : « أدركت ثلاثين من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، كلهم يخاف النفاق على نفسه ، ما منهم احد يقول : انه على ايمان جبريل وميكائيل » .

ومنها قول الحسن : ما خاف الله الا مؤمن ، ولا أمنه الا منافق .

ومنها ما روى عن ابن مسعود : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ثلاثا ، فقالوا من هو يا رسول الله ؟ قال : من لا يأمن جاره بوائقه . قالوا : وما بوائقه ؟ قال صلى الله عليه وسلم غشمه وظلمه » .

ومعنى ذلك فى نظر البخارى أن ما ورد من التفرقة بين الايمان والاسلام ، انما هو تفرقة اصطلاحية لفظية فقط ، أما اذا اعتبرنا ما ينجى عند الله فانه لا بد من العمل والا كان الموجود فى القلب مجرد تصورات لا تتغلغل فى القلب ولا تحمل على العمل ، وفى هذا جاء حديث « ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وان قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى . وكذبوا . لو احسنوا الظن لأحسنوا العمل » (أخرجه البخارى فى تاريخه وأخرجه ابن أبى شيبة عن الحسن) .

ومما قيل فى تأييد رأى البخارى : ان الله سبحانه وتعالى قلما يذكر فى القرآن الايمان المنجى من العذاب الا وهو مقترن بالعمل الصالح .

فلنضع المصحف أمامنا . لنجد ذلك فى احدى وثلاثين سورة من أول سورة البقرة الى سورة العصر .

ومما يلفت النظر اننا نجد هذا المعنى يتكرر حتى فى السور غير الطوال عدة مرات ، من ذلك سورة الحج فانه تكرر فيها أربع مرات ، وفى سورة الشورى ثلاث مرات . فأول ما جاء فى البقرة قوله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » آية ٢٥ ، وكذا فى آيتى ٨٢ ، و ٢٧٧ من السورة نفسها . وقوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم » (آية ٩ من سورة المائدة وكذا آية ٩٣) ، وقوله سبحانه : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا

---

(١) هو من فقهاء التابعين .

(١) وهو من التابعين أيضا .

الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (آية ٤٢ من سورة الأعراف) وقوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم) (آية ٩ من سورة يونس) وقوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) (آية ٢٣ من سورة هود) . وهكذا فى جميع الآيات التى تعرضت لجزاء الايمان .

وترى من هذا كله قيمة العمل مع الايمان بحيث لا يكون هناك ايمان ينجى صاحبه ويهيئه لدفاع الله عنه الا اذا كان مقترنا بالعمل ، وميدان العمل واسع .

وبعد ما وعد الله بالدفاع عن المؤمنين عقب بقوله : « ان الله لا يحب كل خوان كفور » وما ذلك الا لان صفتى الخيانة والكفر تحولان بين صاحبهما وبين رضاء الله سبحانه ورحمته ، ومن حرمه الله رضاه فمن ذا الذى يدفع عنه شرا ، أو يجلب له خيرا ؟ ، فما هى اذن الخيانة التى تستجلب كل هذا الشقاء ؟!

قال الراغب ما معناه : الخيانة والنفاق توأمان ، فالخيانة فى الأصل تقال اعتبارا بالعهد ، والنفاق يقال اعتبارا بالعقيدة ، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد ، ونقيضها الأمانة ، ومن ذلك فى القرآن : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » آية ٢٧ من سورة الأنفال ، فمن ضيع شيئا مما أمر الله به ، أو ارتكب شيئا مما نهى عنه ، فهو خائن ، ومن أهمل ارشاد الرسول صلوات الله عليه فهو خائن ، ومن ضيع حقا على مسلم ائتمنه عليه فهو خائن .

ومن ذلك أسرار الدولة ، فمن أضاعها ، أى افشاها للعدو ، وخصوصا الشئون الحربية منها فهو أفجر الخائنين .

ولما سمع ابو عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة ، قال لا أراه صلى الله عليه وسلم خص بذلك الخيانة فى أمانات الناس دون ما افترض الله على عباده وائتمنهم عليه ، وفى ذلك قال السلف : من الخيانة ان يستنصح الانسان أخاه فلا ينصحه ، أو أن يسر اليه حديثا فيفشيه ، وفى هذا قال صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثك الرجل ثم التفت فهى أمانة » يريد صلى الله عليه وسلم أن الرجل اذا حدث غيره منفردا ثم التفت حوله حذر أن يسمعه احد ، فلا يجوز للسامع أن يفشى هذا الحديث ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يطبع على كل خلق الا الخيانة والكذب » رواه أحمد .

ومن ذلك قول العرب عن الأسد : انه خائن العين ، أى لأنه ينظر الى فريسته فى فتور ، كأنه لا يريدها .

ومنه قوله تعالى : « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » آية ١٩ من سورة غافر . فخائنة الأعين هى ما تسارق النظر نظرة مريبة الى ما لا يحل . قال بعض العلماء ، ومن الخيانة أن يكف الرجل لسانه عن أخيه ولكنه يومىء لجليسه بطرف عينه غامزا له بما يعيبه .

فاذا كانت هذه هى خطورة الخيانة ، واذا كان أخطبوطها انشب أظافره فى جل معاملة المسلمين بعضهم لبعض اليوم ، وفى معاملتهم لله ورسوله فى شريعته ، فيجب أن يكون عندنا من الشجاعة ما يمكننا من ان نقول : لا أمل لنا فى نصر الله الا اذا رجعنا الى شرعه ، وغيرنا ما بأنفسنا ، لأنه سبحانه قال : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فهل نحن فاعلون ؟

قال الله سبحانه فى مثل حالنا هذه : « ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا

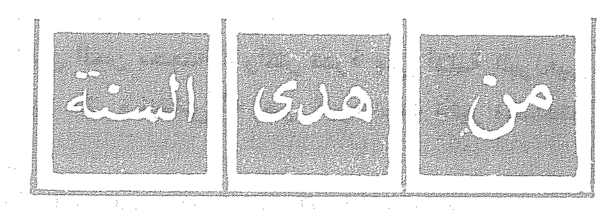
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » آيتي ٤٢ ، ٤٣ من سورة الأنعام .

ثم قال سبحانه : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » أى أذن الله بالقتال للمؤمنين الذين يقاتلهم الكفار ، دفاعا عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم بسبب أن المشركين بمكة ظلموهم ، وكانوا يأتون النبى صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ، ومشجوج رأسه ، يشكون اليه صلى الله عليه وسلم ، فكان يصبرهم ، ويعدهم النصر من الله ، ونزل عندئذ قوله تعالى : « أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ». (آيتى ٢ ، ٣ من سورة العنكبوت) . ثم أردف سبحانه اذنه للمؤمنين بالقتال بوعده لهم بالنصر تأكيدا للوعد السابق بالدفاع عنهم ، ولبيان انه ليس المراد تخليصهم من أيدى عدوهم ، بل المراد اظهارهم عليهم ، والظفر بهم ، حتى يخوضوا الحرب وهم واثقون بالنصر . فقال سبحانه فى ذلك : « وان الله على نصرهم لقدير » ثم بين سبحانه هؤلاء الذين قاتلهم الكفار ظلما بأنهم هم الذين اخرجهم المشركون من وطنهم بغير حق ، ولا موجب لاخراجهم فى نظر المشركين الا توحيدهم لله وقولهم ربنا الله وحده ، لا رب لنا سواه ، فقال فى ذلك : « الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » .

ثم أراد سبحانه أن يحرض المؤمنين على قتال المفسدين ، فبين لهم أن سنته جرت فى كل الأمم الماضية أن يسلط من عباده من يدفع شر طغيان الظالمين على المصلحين الآمنين ليبقى ميزان العدل الالهى قائما ، ولتبقى دور العبادة عامرة بما يربط العبد بربه ، ويؤلف بينه وبين بنى جنسه ، وتنمو فى روحه عوامل الخير ، فينتظم الأمر ، ويهنأ الناس بحياة مستقرة سعيدة ، لا يزعجها خوف من ظالم ، ولا يقلقها طغيان جبار ، اذ لولا رحمة الله هذه لخربت دور العبادة التى يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولضل الناس جميعا طريق الصواب ولكانوا كالوحوش يأكل قويها ضعيفها ، فتفسد الأرض لا محالة ، قال سبحانه فى ذلك : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » الصوامع جمع صومعة ، وهى متعبد رهبان النصارى فى الصحارى ، ويسمى الآن فى مصر بالدير ، وجاء الاسلام بابطال الرهبنة كما فى آية ٢٧ من سورة الحديد ، والبيع جمع بيعة ، بكسر أوله وسكون ثانيه ، وهى متعبد النصارى عامة ، وتسمى الآن بالكنيسة ، والصلوات جمع صلاة ، وأصلها بالعبرية (صلوتا) بالتاء المثناة ، وهى معبد اليهود ، والمساجد هى معابد المسلمين ، هذه الأماكن التى هى أماكن العبادة قديما وحديثا هى التى يذكر فيها اسم الله كثيرا ، فلا يجرؤ على تخريبها الا كل طاغية مفسد عنيد .

ثم أقسم سبحانه على أنه ينصر من ينصر دينه ، والعاملين به على المفسدين الذين لا يريدون الا العلو فى الأرض ، واستعباد الخلق ، ومن تكفل الله بنصره عز وفاز ، لأنه سبحانه قوى على كل ما يريد تنفيذه ، عزيز غالب لا يعجزه شىء فى السموات ولا فى الارض ، قال سبحانه : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

ثم بين سبحانه هؤلاء الذين ينصرون دين الله وأولياءه ، بأنهم هم الذين ان مكن الله لهم فى الأرض وجعلهم أصحاب التصرف فيها ، شكروا فضله سبحانه عليهم بأن جمعوا بين خصال أربع ، هى عماد كل دين وركاز كل سعادة ، وسنتحدث عنها فى المقال التالى ان شاء الله .



مبدأ الإسلام في القضاء والدفاع

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((انما انا بشر ، وانه ياتينى الخصم ، فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض ، فاحسب انه صادق فاقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار ، فلياخذها او ليتركها)) .

(رواه البخارى)

ا ـــ من سنة الكون وطبيعة الوجود أن يكون بين الناس خلاف واختلاف (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) فلكل استعداده الفطرى ، وقد شاء الله سبحانه أن يتفاوت الناس فى العلم والمعرفة ، والرأى والعمل ، والطاعة والعصيان ، والقرب من الحق أو البعد عنه ، ولهذا تشعبت أمور الحياة وتنوعت ، وكل يحاول أن يبرهن على صحة اتجاهه وأن يثبت قوة ادعائه ، واستقامة سلوكه ، كما أن من الناس من لا يقيم وزنا لمصالح الغير ولا يهتم الا بنفسه ولا تعنيه الا مصلحته الخاصة ، يحاول الوصول الى ما يراه صالحا لنفسه غير عابىء بالمقاييس الخلقية أو الروابط الاجتماعية ، أو التوجيهات الالهية ، ولكل رأى أنصار وأعوان مهما كانت مكانته من الحق أو الباطل ، ومهما كان قربه أو بعده عن الصواب أو الخطأ ، ومن رحمهم الله هداهم للصواب ، وجعلهم يتفقون على تحكيم كتاب الله فى خلافاتهم ، ومن سنة الله فى خلقه أن يفصل عقلاؤهم فيما يختلفون فيه مسترشدين بأعمال الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائرين على نسق معين يوصل الحقوق الى أصحابها فى غير عنت أو مشقة ، ومن هذا كان القضاء ووجد القضاة ، والقاضى بشر ، والبشر يخطىء

ويصيب وربما كان أحد المتقاضين الحن بحجته ، وأكثر قدرة على اقامة البراهين مدللا على صحة دعواه ولو بغير حق ، فيقضي له بحق غيره تحت تأثير فصاحته وقوة بيانه .

٢ — ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه المسلمين الى اتباع سبيل الله ، وايثار الباقى على الفانى والتمسك دائما بالمنهج المستقيم فى كل شىء ، وقد حدث يوما أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة احـدى زوجاته رضى الله عنهن جميعا (١) قيل فسمع جلبة وصياحا بالباب ، واذا بقوم يختصمون اليه ، فخرج اليهم ، وقبل أن يجلس منهم مجلس القضاء ، نصحهم ، وخوفهم عقاب الله ، وحذرهم من الكذب وادعاء أحدهم ما ليس له ، فقال لهم : انى بشر من البشر ، لا اعلم ما يجول فى نفوسكم ولا ما تنطوى عليه سرائركم ، فعلم الغيب عند الله وحده وقد يكون احدكم اقوى بيانا ، وافصح لسانا ، واكثر قدرة على الادلاء بحجته وهو غير محق ، فأحكم له بما يبدو لى من ظاهر القول ومقتضى الحال ، بينما يكون الآخر عييا وهو صاحب الحق ، لا يحسن الدفاع عن حقه ، متهيبا مجلس القضاء ، مضطربا لا يستطيع الافصاح عن ما يريد ، ولا يمكنه أن يبين عن حقه ، فأحكم عليه فليحذر كل من المتخاصمين عقاب الله ، وليخف سطوته فلا يحاول الوصول الى أخذ حق غيره ببلاغته ، فهذا غش وخداع ، وظلم للنفس ، واتباع الهوى يودى بصاحبه الى غضب الله عليه ويبعده عن رضا ربه ، فتسوء حاله فى الدنيا والآخرة .

٣ — وكلما بعد الناس عن تعاليم الله ، وانبتت صلتهم بهدايته ، رثت حبال مودتهم وعفنت نفوسهم وركنوا الى المــادى البحت ، فتجـافوا ، وتقاطعوا ، وأهمتهم انفسهم وسلكوا كل سبيل يوصلهم الى شهواتهم فتكثر الخصومات ، ويشتد النزاع ، وتهدر الحقوق وتطمس معالم الصراط المستقيم ، وتصبح الغلبة للقوة فتنطوى القلوب على الاحقاد والضغائن وبالتالى تفسد المجتمعات ، وتصبح الحياة جحيما لا يطاق ، وعذابا لا يحتمل ، وألما ممضا ، وعناء دائما ، وذلك حين يغنى كل على ليلاه ، ويحاول صيدا بشباك الزيف والضلال ، لا يستمع لأنات المحرومين ، ولا يلين قلبه للثكالى والمصابين .

والعاقل من آثر الحق ، وحاول التغلب على هوى نفسه ، ونظر الى الحياة نظرة واقعية على انها تسير الى فناء محقق ، وأيقن بما عند الله ، وأدرك أن سعادة الغير سعادة له ، وأحب لعشرائه ما يحب لنفسه ، وابتعد عن الجدال والخصومات التى تؤذى مجتمعه ، وتعكر صفو الآخرين فتحرمهم نعمة الهدوء والراحة ، وتحملهم حملا قويا على التفنن فى المداوات والمنازعات .

٤ — ولما كان الكثير من امور الحياة خافيا غير واضح ، فرب مقبل والخير من ورائه ، ورب مدبر والخير أمامه ، لم يترك الله البشر دون هداية ، فأرسل

(١) قيل انها ام سلمة .

رسله مبشرين ومنذرين ، واختارهم من صفوة خلقه ، ليبلغوا عنه ، والرسل دائما يحثون على التوكل على الله وايثار الآجلة مع الاخذ فى أسباب المقاصد دون تواكل او وهن ، قال تعالى : « وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » لأن الايمان لا يكون يقينيا الا اذا صدقه العمل ، فالتوكل على الله من اعظم علامات الايمان وهو لا يكمل الا بالصبر على الشدائد ، والدعاء لا يستجاب الا اذا كان مقرونا باتخاذ الاسباب وذلك بعمل ما يستطاع عمله ثم نطلب من الله أن يسخر لنا ما لا نستطيع ، ودلت التجارب والوقائع الماثلة امامنا على أن سوء حال المسلمين من ضعف وفقر تجعلهم موطنا لافتتان الكفار بهم باعتقادهم انهم خير منهم . قال تعالى « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة » ومن اعظم ما جر على المسلمين البلاء هو عدم انصياعهم لأوامر الله ، وحرصهم على أن يصلوا الى متاع الدنيا من وجوهه غير المشروعة ولو كان حقا للآخرين ، ويرفع المسلم خلافه مع أخيه الى القضاء ويحلف أنه على حق وهو كاذب ، ويدلى بما لا صحة له ولا اصل له ليهضم حق أخيه وليحكم له غير عابىء بأوامر الله وغير مقيم للآخرة وزنا ، والقاضى بشر من البشر لا يمكنه اكتشاف العبث ومعرفة المحق من المبطل الا بالادلة الماثلة أمامه ، وقد يقضى بناء على بيان الخصوم وقوة بلاغتهم ولا ضير عليه فى هذا ، وانما الضير والوبال على من أخذ ما لغيره دون أن يكون له وجه حق فى هذا الاخذ .

٥ ـ الظلم دائما يجر الى الخراب وفساد المجتمعات ، ولولا لطف الله لهلك الناس بظلمهم يقول جل شأنه « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة . . » ومن أشد الظلم اغتيال حقوق الآخرين والاصرار على ذلك وقد أخرج البيهقى وغيره عن أبى هريرة أنه سمع رجلا يقول (ان الظالم لا يضر الا نفسه ، فقال لا والله بل ان الحبارى فى وكرها لتموت من ظلم الظالم) وعن ابن مسعود رضى الله عنه : كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم ثم قرأ قوله تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة . .) ، وأخرج أحمد عن أبى هريرة أنه قال : ذنوب ابن آدم قتلت الجعل فى جحره ، والبعد عن الهداية الربانية يجعل الانسان أنانيا بحتا لا يتجه تفكيره الا الى ذاته ولا يرى الا وجوده هو ، وهذا من تزيين النفس الامارة بالسوء ، وعمل شياطين الانس والجن ، ومن نسى الله وكله الله الى نفسه (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) وحينئذ يضل ابن آدم الضلال البعيد قال تعالى : « تا لله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم) فقد مضت سنة الله فى خلقه أنهم متشابهون فى كل الاعصر والازمان ، فقد أرسل الله الى الامم التى سبقت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسلا مبشرين ومنذرين ، وأمرهم بتوحيد الله واخلاص العبادة له ، ولكن شياطينهم حسنوا لهم ما هم عليه من كفر وفسوق ، فكذبوا رسلهم ، وما دعاهم الى ذلك الا شياطينهم وبئس الناصر والمعين الشيطان ، وكانت رسالة خاتم الانبياء والمرسلين زيادة فى توضيح الحق من الباطل ، ودعوة صريحة الى البشرية أن تحرر من عقال الكفر وأن تسير فى ركاب الخير والحق ، وأن يعمل الناس بما أوحى الى رسلهم من الله العزيز العليم ، قال تعالى : « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين

لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » فرسالته عليه الصلاة والسلام اقامة للحجة على العباد وهى هدى للقلوب الضالة ورحمة لقوم يؤمنون ليصدقوا بما تضمنته من أوامر الله ونواهيه ، فكتاب الله هو الفيصل بين الناس فيما يتنازعون فيه وهو الهادى الى سبيل الرشاد .

٦ — وفى الحديث الشريف الذى تصدر هذا البحث يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخاصمين الى الايمان بالآخرة ، والثقة بما أعده الله فيها للطائعين من رحمة وللعاصين من عقاب . فما يحمل الناس على اغتيال الحقوق ، وأكلها بالباطل والادلاء بها الى الحكام الا بعدهم عن الايمان بالآخرة ، والآخرة حق والبعث لا ريب فيه ، وان أصر البعيد عن رحاب الله وهدايته على الانكار ، وقد قال قوم فى عهده عليه السلام ومن قبله ومن بعده : ان الحياة الأخرى غير ممكنة ولا معقولة ، وقد رد الله عليهم ما قالوا وهو سبحانه العليم الخبير قال تعالى : « واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعدا عليه حقـا ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين . انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون »[1] وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن العالية قال : كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به والذى أرجوه بعد الموت انه لكذا وكذا ، فقال المشرك : انك لتزعم أنك تبعث من بعد الموت ، واقسم جهد يمينه لا يبعث الله من يموت ، فأنزل الله (واقسموا بالله جهد ايمانهم ..) الآية .. وأخرج هؤلاء عن أبى هريرة قال : (قال الله سبنى ابن آدم ولم يكن ينبغى له أن يسبنى ، وكذبنى ولم يكن ينبغى له أن يكذبنى ، فاما تكذيبه اياى فقال (واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت) وقلت (بلى وعدا عليه حقا) واما سبه اياى فقال (ان الله ثالث ثلاثة) وقلت (هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .

٧ — والاسـلام جد لا هزل ، وعمل واتقان للعمل ، وانصياع لأوامره ونواهيه ، وما ترك القرآن شيئا يهم البشرية أمره وتلزمهم معرفته الا وضحه وشرحه ، وجاءت كتب السنة مفصحة عما أجمل فيه ، فلا رأى مع النص ، وقد جدت مذاهب ونحل فى خلال مرور الاسلام فى مختلف الأعصر وكان منها النافع ومنها البعيد عن الصواب ، والعقلاء المؤمنون يحكمون الله ورسوله فيما شجر بينهم ، ولا يجدون فى أنفسهم حرجا من حكم الله وحكم رسوله الذى لا ينطق عن الهوى .

وكثير من النـاس يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، ويخرجون فى أحوالهم عن الصراط المستقيم الذى رسمه رسول الله بوحى من الله ، ونسأل الله السلامة ، كما نرجوه آملين فى رحمته ، أن يهدينا سواء الصراط انه نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) الآيات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ من سورة النحل .

أربــع قــواعــد للإيمـان

للأستاذ : علي الطنطاوي

مقدمة :

اذا كنت في مكة ، وسألك سائل : هل في الطائف الآن مطر ؟ تقول : لا ادري ، لا تستطيع ان تجيب بـ (نعم) ، لأنه ليس عندك دليل الوجود ، ولا تقدر ان تجيب بـ (لا) لأنك لا تملك دليل العدم .

وهذا ما يسمى (الشك) : خمسون في المئة « ايجاب » وخمسون «نفي»
فان ابصرت في جهة الشرق غيوما ، تلوح على حواشي الأفق من بعيد ، رجح عندك رجحانا خفيفا ، أن في الطائف مطرا .
وهذا هو (الظن) : ستون في المئة (نعم) ، واربعون (لا) .
فان ازداد الغمام وتراكم ، واسود وتراكب ، وخرج البرق من خلاله ، ازداد ظنك بنزول المطر .
وهذا ما يقال له (غلبة الظن) : سبعون أو خمس وسبعون في المئة نعم .
فان كنت ماشيا في طريق الطائف ، وبلغتها ، فرأيت المطر بعينك ، واحسست به على وجهك ، (أيقنت) أنه نازل ، و (علمت) بنزوله **علم اليقين** .
العلم (اليقين) : فالعلم (١) منشؤه الأول الحس : ما أدركه بحواسي أوقن بانه موجود (٢) .

ولكني أمشي في الصحراء ، ساعة الظهيرة ، فأرى بركة ماء ، تبدو ظاهرة للعين ، فاذا جئتها لم أجد الا التراب ، لأن ما رأيته (سراب) .
وأضع القلم المستقيم ، في كأس الماء ، فأراه منكسرا ، وهو لم ينكسر .
فهل اشك فيما أدركه بالحواس ؟ اذا شككت في المحسات لم يصح في الذهن شيء ، واستوى العاقل والمجنون الذي ينكر ما هو كائن ، ويتوهم ما لا يكون ،

---

(١) عندنا العلم بالمعنى المطلق ، وهو الذي يقابل الجهل ، والعلم الذي يقابل الفن والفلسفة ، والعلم الذي يقابل الشك والظن ، وهو الذي يراد في هذا البحث .

(٢) وهذا هو العلم الضروري . ومنشؤه الثاني الخبر المتواتر . ثم العلم النظري ومنشؤه الدليل العقلي .

لا ، ولذلك أزيد شرطا آخر لحصول العلم بالحس ، وهو الا يحكم العقل بالتجربة السابقة ، أن هذا وهم أو خداع حواس .

الحواس: ما الحواس ، وما مداها ؟

النفس سجينة فى هذا الجسد ، ولكن لها نوافذ تطل منها على العالم ، وهذه النوافذ هى (الحواس) فهل ترى منها كل ما فى العالم ؟

(الحواس) اولا ليست كاملة ، لأن الكامل لا يقبل الزيادة ، ولقد (كنا) نعرف — أن الحواس خمس — ثم أدركنا بالملاحظة والنظر فى أنفسنا أنها فى الواقع تزيد على خمس ، فنحن نحس (مثلا) التعب عقب المشى الطويل ، أو الجهد المبذول ، ونحس الجوع والعطش والغثيان — فكيف احسسنا به ، وما رأيناه ولا سمعناه ، ولا لمسناه ولا شممناه ؟

احسسنا بحاسة سادسة يصح ان تسميها (الحاسة المشتركة) (١) .

ونغمض عيوننا ، فنحس بأن أيدينا مبسوطة أو مقبوضة ، وأنها ممدودة أو مرفوعة ، وهذه حاسة سابعة (هى الحاسة العضلية) .

وحاسة الحرارة والبرودة ، وحاسة التوازن — حتى ان العلماء قد كشفوا (المركز) الذى فيه حاسة التوازن ، وهو (سائل) أوجده الله فى الأذن الداخلية ، جربوا أن يستخرجوه من حيوانات المختبر (الأرانب والفيران) ، فصارت تمشى بعد فقده مترنحة مثل مشية السكارى .

فلو كانت الحواس الخمس كاملة لما قبلت الزيادة عليها .

ثم ان البصر ندرك به (عالم الألوان) ، والسمع ندرك به (عالم الأصوات) ، افليس من الممكن أن يكون بينهما عالم ، لا أدركه ، لأنى لا أملك حاسة ادركه بها ؟ ولم تعط النفس نافذة تطل منها عليه ؟

عالم موجود ولكنى لا احس وجوده فهو منى كعالم الألوان للأكمه ؟

الأكمه (الذى ولد اعمى) قد يعرف بالسماع ان السهل اخضر ، والبحر ازرق ، والورد أحمر ، ولكنه لا يعرف ما الخضرة ، وما الزرقة ، وما الحمرة — لأن النافذة التى تطل منها نفسه على عالم الألوان مغلقة .

والأصم ، الذى لم يسمع أبدا ، قد يعلم أن فى الدنيا أنغاما ، لها أسماء ، وقد يحفظ أسماءها ، ولكنه لا يعرف ما البيات وما الرصد وما الصبا .

بل ان لدينا دليلا أظهر ، هو ان الغرفة الساكنة التى نكون فيها ، فلا نسمع فيها همسة ولا نأمة ، لا نحس فيها الا السكون الكامل — فى جوها ، جميع الأصوات (الخطب والمحاضرات والأغانى) التى تذيعها اذاعات الأرض

---

(١) لهذه القواعد قصة ، ارويها كما وقعت ، وهى أنى كنت سنة ١٩٣٧ (او ١٩٣٨ — نسيت) مدرسا للأدب العربى فى بغداد (بعد الزيات وقبل زكى مبارك) فكان الطلاب فى الفصل على غاية من الهدوء والاصغاء ، فكلفت مع الأدب بدرس الدين ، واذا بالفصل يضطرب ، والفوضى تعم ، فأدركت أن للدين فى نفوسهم صورة مشوهة ، فشرعت بمقدمة القيها بلا اعداد لها ، ولا عزم سابق على القائها ، فألهمنى الله هذا البحث الهاما ، وما رأيته فى كتاب ، ولا قرأته لأحد ، ونشرته ملخصا فى الرسالة من تلك الأيام (من ثلاثين سنة) . ولما كانت الوحدة بين مصر والشام وكلفت اعداد مناهج المدارس الشرعية أعددتها وحدى ، وأدخلت هذا البحث فى درس العقائد وأحلت على ما كتبت فيه فصار تدريسه مقررا فى مدارس سوريا الشرعية ودخل فى كتبها الرسمية وان كان من مؤلفيها من انتحله واوهم انه من نتاج فكره .

كلها موجودة ، ولكننا لا نحسها ، لأننا لا نملك حاسة ندركها بها ، فاذا جئت بالراد (الراديو الذي يردها عليك) سمعتها واضحة .

ولا تعجبوا — فالجماد يدرك احيانا ما لا يدركه الانسان : ميزان الحرارة (الترمومتر) ، يدرك زيادة الحرارة درجة واحدة ، وأنت لا تدركها ، وميزان الضغط (البارومتر) ، والرادار ، والبوصلة ، كلها تحس ما لا تحسه ، وتدرك من أوضاع الكون ما لا تدركه .

والعوالم التي سلطنا عليها ، واعطينا الحواس لادراكها ، هل ندركها كلها ؟ ان البصر ، يدرك عالم الألوان ، ولكن هل يطلع على كل ما فيه ؟ هل يرى بعينه النملة وهي تمشي على بعد الف ذراع ؟

ان لهذه النملة صوتا . فهل يسمع باذنه صوتها ؟ ان في كأس الماء الذي يبدو للعين عذبا صافيا ، آلاف الآلاف من الحيوانات الصغيرة . فهل يراها ؟

وهل يحق له ، ان ينكر وجودها لأنه لا يراها ؟

هل يحق له أن يجحد الموجات الصوتية ، لأنه لم يسمعها ؟

فالقاعدة الاولى :

هي انه : **لا يحق لنا ان ننكر وجود اشياء لمجرد اننا لا ندركها بحواسنا .**

وهذا ما عبر عنه علماؤنا بقولهم : لا يشترط من عدم الوجدان عدم الوجود (١) . وهذه القاعدة ، نرد بها اعتراض الماديين ، على الايمان بالمغيبات ، يقول احدهم : انا لا اصدق بوجود الملائكة ولا الجن ، لأني لا اراهم ولا أحس بهم ، فنقول له :

كيف صدقت بوجود الموجات الصوتية في جو الغرفة ، ولم تكن (قبل الراد) تسمعها ، ولا تدرك وجودها ، ونفيت امكان وجود الملائكة ، لمجرد انك لا تراهم ولا تحس بهم ؟

القاعدة الثانية :

ان الله أعطانا قوة نصل بها الى حيث لا تصل الحواس . وهي قوة (الخيال) أن غابت عني داري في دمشق وأنا في مكة ، تخيلتها فاذا هي أمامي ، أرى بيوتها ومرافقها ، وان نأى عني صديقي تخيلته فرأيته ..

.. أفلا يتمم الخيال نقص الحواس ؟ وما مدى الخيال البشري ؟

الخيال بنوعيه ، هذا (الخيال المرجع) الذي اشرت اليه ، و (الخيال المبدع) خيال الشعراء والأدباء واخوانهم من اهل الفنون ، كله مقيد بالحس .

ان أقصى ما يعمله رجل الفن ، مهما كان عبقريا ، أن يؤلف صورة جديدة من الأجزاء القديمة .. فالذي نحت تمثال (فينوس) لم يأت به من العدم ، ولا مما وراء المادة ، بل نظر الى أجمل عين ، وأجمل وجه ، وأجمل جسم ، فألف بينها ، فجعل منها تمثال امرأة ، لم يجدها كاملة ، ولكن وجد أوصالها فجمعها .

والقزويني في (عجائب المخلوقات) (٢) ، تصور أو زعم بأنه رأى ، حيوانا جسمه كفسطاط الأمير ، وفمه كباب الدار ، واسنانه كأسنة الرماح .

---

(١) فعل (وجد) يتبدل معناه بتبدل مصدره ، فالوجود وجود الشيء بذاته ، والوجدان شعورك بوجوده ، والوجد العشق والموجدة الغضب ، وكلها يقال فيه (وجد) (يجد) .

(٢) أو غيره ، فقد شكلت ، وضعفت الذاكرة ، وضاع مني المرجع .

وهو يطير في الجو ، ويخطف برجليه الفيل ، وهذه الصورة على غرابتها ، لم يزد فيها على أن أخذ جسد الفيل ، وفم الحوت ، وأسنان النمر ، وجناحي النسر ، فكبرها وركبها .

والمذهب الخيالي في القصة .. انظروا أغرب ما جاء به أهله من قصص (ولز) الى قصص الحياة على القمر ، وفي المريخ — وما جاء به المعرى في رسالة الغفران ، و (دانت الايطالى) وابن شهيد الأندلسي تروه كله منتزعا من الحياة الأرضية ، حتى الذين كتبوا عن المريخ ، بل الذين تصوروا الحياة الآخرة لم يستطيعوا أن يخرجوا عن حياة الأرض التي عرفوها .

فالقاعدة الثانية هي ان الخيال لا يقدر ان يجاوز هذه الحياة المادية .

فنحن لا نستطيع أن نتخيل نغمة عطرة ، ولا رائحة حمراء ، ولا نتصور الا الأبعاد الثابتة (الطول والعرض والارتفاع) لا نستطيع أن نتصور بعدا رابعا (١) ، ولا دائرة ليس لها محيط ، ولا مثلثا ليس له زوايا .

فكيف (اذن) نتخيل الآخرة ، وما فيها ؟

ان ابن عباس يقول : (ما في الدنيا مما في الآخرة الا الأسماء) ، وهذا حق ، فلا خمر الآخرة كخمرة الدنيا ، ولا حورها كنسائها ، ولا نار جهنم كنارها ، ولا الصراط الممدود على جهنم كالجسور الممدودة على الأودية والأنهار .

ولكنها شيء آخر ، شيء لا يمكن ان نتصوره ولا أن نتخيله ، كما ان الجنين في بطن أمه لو أعطى العقل والفهم ، وقيل له ، ان ها هنا شمسا وقمرا ، وبرا وبحرا ، وسهلا وجبلا ، لا يستطيع ان يتصور ذلك أو يتخيله — ونسبة الآخرة الى الدنيا ، كنسبة الدنيا الى بطن الأم الذى فيه الجنين .

العقل :

لما أبصرت العين العود المستقيم ، منكسرا ، وهو في كأس الماء ، لم ينخدع العقل بما رأت العين ، وعرف أنه لم يزل مستقيما ، ولما رأت التراب ماء ، في الصحراء ، عرف أنه سراب ، وأنه ليس ماء ولكنه تراب ..

فالعقل أصح حكما ، وحكمه أبعد مدى ، ولكن هل يحكم على كل شيء ، ويمتد مداه الى غير ما نهاية ؟

ان العقل لا يستطيع أن يحكم على شيء ، حتى يحصره بين اثنين : الزمان والمكان ، فيقول : متى ؟ وأين ؟ فما لم ينحصر بينهما ، لم يكن للعقل عليه سلطان .

فلو قال لك مدرس التاريخ ، ان حربا وقعت بين العرب والفرس ، ولكنها لم تقع قبل الاسلام ولا بعده ، ولم تقع في زمن من الأزمان ، ولكنها وقعت فعلا ، لم تدرك ذلك ، ولم تصدقه ، ولم تقبله .

ولو قال لك مدرس الجغرافية ان مدينة ليست في سهل ولا جبل ، ولا في شرق ولا في غرب ، ولا في أرض ولا في سماء ، ليست في مكان ، ولكنها موجودة فعلا ، لم تدرك ذلك ، ولم تصدقه ولم تقبله .

ومعلوم بالضرورة أن الله عز وجل ، وصفاته وآلاءه ، لا تخضع للزمان ولا للمكان ، والله لا أول له ولا آخر ، ولا يشتمل عليه مكان — فالعقل لا يستطيع أن يحكم على الله ولا على صفاته ، ولا على قضائه وقدره — كل عمله فيها فهم نصوص الوحي ، الذى جاء من خارج العقل .

---

(١) أعني بعدا حقيقيا ، لا بالمعنى الاعتبارى الذى جاء به آنشتاين .

والعقل محدود ، لا يستطيع أن يتصور غير المحدود ، ولا يحكم على غير المتناهي ، جرب أن تتصور حقيقة معنى الخلود في الجنة ، أو في النار تجد العقل يحكم بالبقاء فيها مليون سنة ، وعشرة ملايين ، واضعاف ذلك ، ثم يقف ، ويقول : وبعد ؟ انه يريد أن يصل الى النهاية ، انه لا يتصور الخلود .

والله عز وجل ، غير محدود ،فالعقل لا يستطيع أن يحكم عليه .

واذا بحث العقل فيما ندعوه (اللانهـــاية) انتهى بحثه الى الوقوع في التناقض الذي يحكم العقل ببطلانه . أي أن العقل عند بحثه في غير المحدود يحكم على نفســه بالبطلان .

الفيلسوف الالماني (كانت) له كتاب اســـمه (نقد العقل) جاء فيه بأربع عشرة مسـالة تثبت هذا ، وقد عجب منها الفلاسفة والعلماء ، ثم وجدت أن علماء الكلام في ادلتهم على ابطال الدور والتسلسل قد سبقوه اليها .

ومن ادلة علمائنا ، أن تخرج من نقطة (م) مثلا خطين مســـتقيمين متباعدين ، وتفترض امتدادهما الى (اللانهاية) . وتصل بينهما خطوطا مفترضة هي (ب جـ) ، (ب ا جـ ا) ، (ب ٢ جـ ٢) ، (ب ٣ جـ ٣) ، وهكذا حتى تصل الى اللانهايتين ، وتسأل هل الخـــط الأخير (ب ٨ جـ ٨) . محدود أم هو غير محدود ؟

اذا قلت أنه محدود ، رد عليك انه بين لا نهايتين فكيف يكون محدودا ؟

وان قلت أنه غير محدود ، رد عليك بأنه بين نقطتين ، فكيف يـــكون غير محدود ؟ فهو محدود وغير محدود ، وهذا تناقض .

فثبت أن العقل يختل ميزانه ، ان حاول الحكم على غير المحدود ، ويقع في التناقض المستحيل .

فالعقل اذن لا يستطيع ان يحكم ، ولا يصح حكمه الا في الأمور المادية ، اما (ما وراء المادة) أي عالم الغيب (الميتافيزيك) فلا حكم للعقل عليه .

وهذا الذي أثبته (كانت) في كتابه ، قال به علماؤنا من قبل ، انظر كتاب شرح المواقف للسيد ورسالة المقصد الأسنى للغزالي (١) .

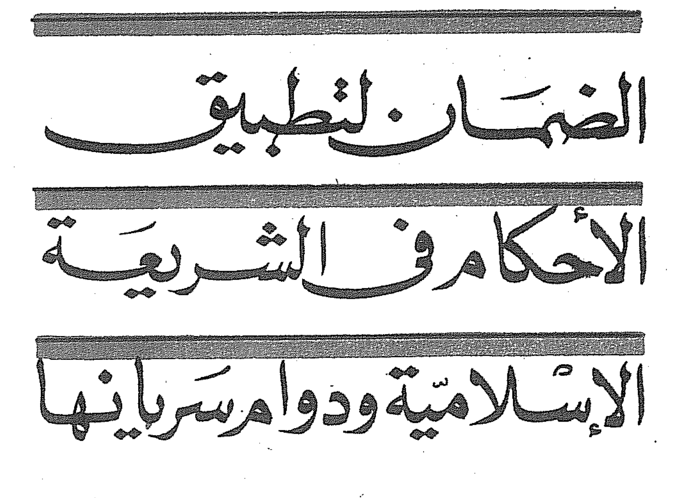
القاعدة الرابعة :

هي أن الايمان بأله عقيدة بديهية ، لا تخلو منها نفس ، ولكن الانسان قد يكون صحيح الجسد ، مســـتوفى الأمن ، رخي العيش ، فيمر به وقت لا يحس بها ، وربما أنكرها ، فهو (كافر) بها ، أي مغط لها ، لأن الكافر في اللغة هو الساتر ، فاذا هزته المصائب ، أو زلزلته الخطوب ، أو شـــارف اليأس ، ألقى عنها غطاؤها ، فظهرت وقد شرحت ذلك في مقالتي في عدد الشهر الماضي ، من مجلة (رابطة العالم الاسلامي) فلا أكرره هنا .

وهذه القواعد الأربع ، اســاس للعقائد فيها الرد على جميع الشــبه التي تعرض لعقول الملحدين وتظهر على السنة الخصوم .

---

(١) بقيت هذه الرسالة (المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحســنى) في مكتبتي أكثر من ثلاثين سنة ، لم أجد دافعا الى قراءتها ، ثم أخذتها يوما فوجدت فيها شــيئا عجيبا ، من عبقرية الغزالي ، فهو يتكلم عن الاسم والمسمى والصلة بينهما ، ويربط بين أســـماء الله وسلوك المسلم في الحياة ، ويأتي بما لم يأت بمثله أحد .



للاستاذ محمد محروس
الأعظمية — بغداد

توضع الأحكام ، وتشرع القوانين لكي تسود وتنفذ مضامينها ، توسلا لتحقيق ما ابتغى لها من أهداف . لذا فاننا نرى انه لا يولد قانون إلا وضمان تطبيقه قد ولد معه ، وما شرعت شريعة الا وحفت بما يؤمن دوامها ، ويصون كيانها ، ويحقق سريانها ، باختلاف ظاهر بين الشرائع .

وانطلاقا من الفهم الصحيح للنفس البشرية ، والجبلة التى فطر عليها الانسان ، فانه لن يرضخ لكل ما يجب عليه أن يرضخ له ، ولا يطبق كل ما كان الواجب عليه أن يطبقه ، ولن ينتهى عن كل ما وجب عليه الانتهاء عنه .

ويقينا فان النفس البشرية لا تقدم على عمل ، أو تنتهى عن آخر ، الا اذا كانت ترتجى نوال منفعة ، أو تنزجر بعقوبة ، ويعيينا البحث ان نحن فتشنا عن غير هذين الأمرين دائما وحافزا ، لاتيان عمل أو ترك آخر . لذا نجد العقوبات الرادعة فى شتى القوانين لمن اقترف عملا خلافا لما جاءت به ، ويقابل ذلك ما نجده من امتيازات ومنافع وضعت لمن جاء بعمل طلب منه الاتيان به . فالقاتل يقتل ، والمهرب تصادر بضاعته ، والمخبر عن الأموال المهربة يكافأ ، والموظف المجد يجازى ، والمتقاعس يعاقب .. وهكذا .

ان هذا الطريق لضمان تنفيذ الأحكام والانصياع لها ، قد يكون مجديا فى بعض الأحيان ، الا انه غير مضمون فى أحايين أخرى ، لأن (الانسان حريص على ما منع) ، وقد يقترف العمل المحظور قانونا ، المحرم عرفا ، الممقوت عقلا ، حتى وان كانت عاقبته وخيمة وثمنه باهظا ، والواقع الملموس زاخر بالأدلة على صحة ما قلناه فى كثير من وقائعه وأحداثه .

هذا ويلاحظ ان الكثير من الشرائع والقوانين انعدم أثرها بزوال القوة أو الدولة التى تدعمها وتؤيد تطبيقها ، بل وقد يهجر العمل بحكم من الأحكام ، والدولة الراعية لتطبيقه لا تزال قائمة راغبة فى سيادته مصرة على دوامه وبقائه ، وهى تملك من الحول والطول ما يمكنها من ذلك .

اذن فما الطريق الأكثر امانا لتحقيق المقصود ، ونوال المطلوب ، فى ضمان سيادة الأحكام ؟.

ان ذلك لا يتم فى رأيى الا بخلق (دافع ذاتى) فى النفس ، وهو ما يسمى (بالوازع) ، يكون نابعا عن عقيدة معينة ، يبعد النفس عن مزالق الشر ، ويقربها الى مسالك الأمان ، ذلك الدافع الذاتى النابع عن الايمان يجعل من نفس المرء رقيبا على ذات نفسه ، ينتهى عن الفعل المنهى عنه — وان لم يخش عقابا — ويلتزم بالفعل المطلوب — وان لم يرج نوالا — ذلك لأنه آمن — عن تفكير وبصيرة — بوجوب اتيان هذا ، وضرورة الانتهاء عن ذاك وهو ما يسمى الآن (بوخز الضمير) ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب (١) .

ولا آتى بجديد اذا قلت : ان الايمان بالنظم والقوانين المطبقة ، واعتقاد الأمة بصلاحها ، يسهل على الماسكين بناصية الأمور تنفيذها ، ولا يشق عليهم شىء من أجل ذلك ، ويخفف عن كاهل الدولة أعباء كثيرة : مادية وزمنية ، ويوصل الى المجتمع الصالح والغرض المرجو ، بيسر وسهولة بالغين ، ويتم جنى ثمرة تلك الأحكام بأقل جهد ، وعلى اكمل وجه ، وأوفى حال .

والشريعة الاسلامية .. كشريعة متكاملة ، أريد لها البقاء ، وطلب من معتنقيها التطبيق ، ولأحكامها السيادة والاحترام ، لم يفتها شىء مما ذكرنا فنجد أحكامها خالدة باقية ، راسخة فى النفوس متمكنة منها ، حتى وان فقدت القوة التى تدعمها — كأى قانون من القوانين — واذا كان عظم الأثر يدل على عظم المؤثر وقوته وفعاليته فى الوجود ، فان بقاء كثير من احكام هذه الشريعة ، رغم ابتعاد المؤثر ، ليدل دلالة واضحة على مدى فعاليته فى النفوس ، ومدى جدوى ضماناته التى استند عليها لدوام التطبيق والاستمرار فى السريان لآثاره .

فهذه الشريعة حين آمنت بأن رجاء النفع ، وخوف المهانة والسوء : ضمان قوى للالتزام بكل حكم او امر ، فما ذلك الا دلالة على اصابتها حقيقة النفس البشرية فى تحليلها الموفق لها ، وما انطوت عليه ، ويظهر هذا الأمر واضحا جليا فى قوله تعالى :

« فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » (٢) .

ويقول جل وعلا : « ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حنبل ، عن الشعبى عن النعمان بن بشير رضى الله عنهم انظر راموز الأحاديث لمؤلفه أحمد ضياء الدين الكمشخانوى والنقشبندى والخالدى المجددى ص (٢٠٤) الطبعة الثانية سنة ١٣٢٦ هـ مطبعة خلوصى بالاستانة .

(٢) الآية ٩٠ من سورة الأنبياء .

المحسنين » (١) . فلا شيء غير الرغبة والرهبة ، والخوف والطمع من دافع في الوجود كله .

ومن شأن الفرد المسلم انه لا يقصر رجاءه من عمله على النفع الحاضر او يخشى فقط العقاب العاجل ، بل انه دائما يرجو نفعا مؤجلا ، ويخشى عقابا مؤخرا ، فيطمع في نوال رضا الرب ، والفوز بالجنة وما يقربه منهما ، ويبتعد عن كل ما يغضب الاله ويقربه من النار .

والجنة والنار ورضا الاله وغضبه هما المحركان الدائبان ، والموجهان الصائبان لأفعال العباد ، ولا فائدة في عمل لا يرجى منه رضوان الله في نظر الشريعة الاسلامية .

وانطلاقا من هذه النقطة الحساسة فان الشريعة الاسلامية جعلت ضمانات تطبيق احكامها نوعين : —

أولهما : عقوبات مادية دنيوية آنية زاجرة ، شأنها في ذلك شأن القوانين الوضعية .

وثانيهما : ايمانها بالدافع الذاتي ، او (الوازع) ضمانا للتطبيق ، وهذا هو مرتكزها ، وعليه غالب اعتمادها .

فمن أمثلة الضمانات التي من النوع الأول ، شتى العقوبات التي يوقعها ولي الأمر حسب التفصيل الوارد فيها كعقوبة السرقة ، وقطع الطريق ، والزنا — .. الخ ..

أما الضمان الثاني فهو ما أردناه من كل ما قدمنا به ، حيث توصلت الشريعة الاسلامية الى تحقيقه في نفوس معتنقيها بطريق سليم معقول مقبول ، بعد خلق مقوماته في النفس فهي تؤكد على أن العمل الحرام ما حرم الا لما احتواه من ضرر ، ومرتكبه — اضافة الى ضرره عليه — ستكون النار له يوم القيامة شر جزاء ، ولن يغنيه الافلات في الدنيا عن عقوبة الأخرى ، وان الفعل الواجب والمندوب ما وجب الا لمنفعتهم ، وليس لفاعله جزاء الا الجنة وفي تركهم له عقاب النار وغضب الاله .

ذلك لأن الله هو خالق هذا الكون ، وهو أعرف بمخلوقاته منها : « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٢) ، ولما كان هو الأعرف بهم ، كانت احكامه التي أرادها لهم لا بد هي الملائمة لحياتهم ، فاذا أرادوا لمجتمعهم الاستقرار ، وجب تطبيق ما يلائمه من احكام شرعت بما يوافق الطبيعة البشرية . ومن جهة أخرى فان الله هو الآمر المطاع في ملكوته ، فما أمر به وجب ، وما نهى عنه حرم ، والمخالف لذلك على كلا الحالين آثم ، يغضب الله عليه ، ويخرجه من رحمته .

ومن زاوية أخرى ، تؤكد الشريعة الاسلامية أن الحياة الدنيا ما هي الا وسيلة للآخرة وهي حياة زائلة ، سيعقبها الخلود الأكيد ، اما الى الجنة واما الى النار ، والعامل لسعادته يجب أن ينظر الى نهايته فيستعد لها ، بأن يجعل حياته وفق أوامر من سينزل الناس في الآخرة منازلهم حسب أفعالهم في الدنيا .

ومما تقدم تتضح أمامنا بوضوح مقومات الدافع الذاتي التي تؤكد عليها الشريعة الاسلامية ، لكي تغرزها في النفوس ، وتثبتها في الجنان ، فان هي توصلت الى اقرار ذلك وتثبيته في النفوس ، اقدم المرء على تنفيذ كل ما أمرت به وهو راض مطمئن ، مهما عسر أو صعب ، وانتهى عن كل قبيح مهما احتوى من لذة محرمة ، أو نفع مؤقت زائل .

فعلى سبيل المثال : الفرد المسلم يخرج من أمواله الآلاف ، يواسي بها

---

(١) الآية ٥٦ من سورة الأعراف . وفي سورة السجدة الآية (١٦) يقول تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون » ، وفي نفس المعنى وردت اللفظتين في سورة الروم الآية (٢٤) وفي سورة الرعد الآية (١٢) .

(٢) الآية (١٤) من سورة الملك .

الضعفاء ، لا لكي يتلقى مديحا ، أو يقبض نفعا عاجلا ، لأنه يدفعها ولا حاث له على ذلك الا وازعه المتمكن من نفسه .

ان الدافع الذاتي او الوازع الذى تحرص الشريعة الاسلامية على خلقه في كل نفس مؤمنة ، لا تسميه هذه الشريعة بهذا الاسم ، كما وانه لا يتحقق لدى كل امرىء بنفس الدرجة والقوة ، لذا كان الاصلاح الذى يمكن ان يقابل هذا المعنى فى الشريعة الاسلامية تختلف تسميته تبعا لدرجة قوته فى النفس البشرية ، وكل درجة منه تجعل المرء اما ممتنعا عن نوع معين من الأمور التى نهى عنها ، أو ممتثلا لنوع معين من الأوامر المطلوب منه تنفيذها .

نبدأ بأول منزلة وهى منزلة الانسان (الكافر) وهو الذى يجحد ما جاءت به الشريعة الاسلامية ، ولا يعترف بوجودها . والدافع الذاتى عند هذا النوع من البشر — بالنسبة لأحكام الشريعة الاسلامية — مفقود تماما ، فقد يأتى من الأفعال ما نهت عنه وقد يترك التى أمرت به . نعم قد يوافق فعل الكافر حكم الشرع ، لا عن اعتقاد به ، وانما لمجرد الاعتقاد بصلاحه ، وهذا العمل المنفصل عن العقيدة لا يؤبه به ، لأنه لا يخرجه عن كفره ، وذلك لأن الأعمال بالنيات، كما أن التزامه بجانب واحد ولو عرضا سوف لا يمنعه عن التفريط بالجوانب الأخرى عملا واعتقادا .

اما النوع الآخر من بنى الانسان فهو (المؤمن) أو (المسلم) (١) ، وان مجرد الايمان يشكل حرزا أو مناعة لدى الانسان يعصمه عن الكفر ، ويخرجه من نطاقه ، وهذا الايمان يشكل دافعا ذاتيا للالتزام بالفكرة الاسلامية عموما ، والتمسك بأصولها الاعتقادية ، (والمسماة بأصول الدين) فالمؤمن أو المسلم مهما بلغ من تحلل فى أعماله لا يرضى الكفر بالله ورسوله وكتابه ، وما جاءت به الشريعة من اصول فى الدين ، ونرى اشد الناس فسقا يثور اذا انتقصت عقيدته ، لأن ايمانه يعصمه عن الكفر .

وقد يعمل هذا المؤمن أو المسلم عملا محرما ، أو يترك واجبا ويسمى بالفاسق لخروجه أحيانا على الشريعة الا أن ذلك لا يخرجه عن حظيرة الاسلام ، وتأتى مرتبة التقوى والورع والاحسان وهو : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . ولعل الصائم فى رمضان اشد الناس شعورا بهذا الأمر .

وكلما تركز الايمان فى النفوس كلما كان الدافع الذاتى أكثر فعالية ، وأشد قوة وتمركزا ، بحيث لا يكتفى المرء بكف نفسه عن المحرمات ، وتطبيق الواجبات ، بل يتقى الشبهات ، وهى الأمور التى منزلتها بين المحرمات والمباحات ولم ينص على تحريمها ، ويدفعه الى المواظبة حتى على المندوبات ، وذلك غاية الايمان ، وذروته ، والتسامى فيه حتى سنامه وعلياء هامته .

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع فى المشتبهات وقع فى المحرمات ،

---

(١) قد يفرق بين المؤمن والمسلم . والذين يميزون بينهما يستندون الى قوله تعالى « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم .. » الآية ١٤ من الحجرات . ويعرفون الايمان بأنه : الاعتقاد بالجنان والتصديق باللسان بكل ما علم مجيئه من عند الله تعالى ، أما الاسلام فهو : أن تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا (راجع الدرر المباحة في الحظر والاباحة لخليل بن عبد القادر الشيباني مطبعة الاعتدال — دمشق سنة ١٩٤٧ ص ١٤٧)

كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .. » (١) ، وترك ما يريب الى ما لا يريب امر مطلوب فى الشرع ، روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا اختلفت عليك الأشياء ، وكثرت الأحاديث فان الهدى ان تدع ما يريبك الى ما لا يريبك » (٢) ولا يصل هذه المنزلة الا من كانت صفته على ما ذكرنا . ويقول الشيخ ابو عبد الله محمد الشيباني فى منظومته :

وايماننا قول وفعل ونية
ويزداد بالتقوى وينقص بالردى(٣)

ويشكل (الزهد) وهو فراغ القلب من الدنيا مع عدم فراغ اليد منها ، يشكل دافعا قويا لتطبيق الاحكام ، ولا سيما فى الأمور التى لها كبير اتصال بأمور المال ، فالزاهد لا يطمع ، ولا يحتكر ، ولا يكنز المال ، ولا يدخر الا ما يسد رمقه .

ان الأمور المتقدمة اذا اجتمعت فى النفس كان حصيلتها الانسان الكامل الذى تصبو اليه الفلسفات قديمها ومحدثها ، والشرائع آبدها وباديها ، والحضارات تالدها وطريفها

ان الشريعة الاسلامية وان كانت قد ميزت بين المسلم الفاسق والمسلم التقى الكامل وما الى ذلك ، الا أن هذا لا يعنى ارادتها من اتباعها الالتزام بجزء من احكامها وترك قسم آخر ، أو تقرهم عليه أن هم فعلوه ، بل أن القرآن الكريم يعنف أمثال هؤلاء بقوله : « .. أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب » (٤) .

ولما كان الناس غير مستوين فى أعمالهم ، بل يستحيل تساويهم ، فلا ينبغى أن تتساوى منازلهم ، والاحكام التى تخص كلا منهم ، وهذا ما لا نجده فى أية شريعة اخرى ، ولعلنا نعود الى هذا الموضوع بتفصيل اكثر ان شاء الله تعالى . لذلك فان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا » (٥) فيه دلالة على أن الأحكام الاسلامية متكاملة ، والتمسك بها جميعا دون تمييز أمر مطلوب .

وللتدليل على قوة الدافع الذاتى وأثره فى النفوس يمكننا أن نجد فى الجيل الأول من المسلمين ، وهم صحابة رسول الله والصفوة الممتازة من هذه الأمة ، ما يشفى الغليل ، ويقيم لنا أوضح برهان ودليل ، حيث تمكنت الشريعة الاسلامية من تكوين أشخاص كان الدافع الذاتى ، والوازع الدينى قد بلغ منهم أقصى غاياته .

فهذه الغامدية ، تأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما تناهى اليها تحريم هذا الدين للزنا ، وتقر على نفسها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها قد خالفت أمر الله ، فيردها الرسول لكى تراجع نفسها ، وتتفكر فى مغبة ما أقرت به على نفسها ، فتعود اليه ثانية وثالثة ، حتى عادت اليه فى المرة الرابعة ، فكان اقرارها على نفسها أربعة اقرارات مختلفة فى أربعة

---

(١) راجع هامش رقم (١) . (٢) رواه الديلمى ، راجع الكمشخانوى ص (٢٥) المرجع السابق .

(٣) راجع منظومة الشيبانى فى العقائد الاسلامية على المذهب الشافعى وشرح أبو البقاء الاحمدى عليها المسمى (المعتقد الايمانى شرح منظومة الشيبانى) ص ١٧ مطبعة شفيق سنة ١٣٨١ هـ — بغداد) .

(٤) الآية (٨٥) من سورة البقرة .

(٥) رواه ابن أبى حاتم والطبرانى فى الكبير وابن مردوية عن ابن عباس رضى الله عنه .

مجالس مما يقوم مقام شهادات الشهود ، فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا من اقامة الحد عليها ، وهو الرجم حتى الموت ، لأنها كانت محصنة أى متزوجة ، فتتقبل العقوبة عن طيب نفس واطمئنان خاطر ، وكان بامكانها دفعها بالسكوت ، ولكنها العقيدة ورسوخها فى النفس ، تعمل ما يعجز عنه كل بشر .

وهذا سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه تأتيه تجارة فى عير له قادمة من الشام ، فى وقت اشتد فيه الغلاء ، وشحت الأرزاق ، وعظمت الحاجة الى الأقوات ، والناس فى ضيق شديد . فما ان وصلت العير حتى أتاه تجار اليهود ، فأعطوه مثل قيمتها ثمنا لها ، فقال أعطيت أزيد من هذا ، فأعطى مثلاها ، فرفض ، وهم يزيدون وهو لا يحيد عن جوابه ، فما كان منهم الا أن قالوا : يا ابن عفان ، ما نعلم أن هناك فى المدينة من تاجر غيرنا ، فمن الذى أعطاك أكثر مما أعطيناك ، فيجيبهم : ان ربى أعطانى بالحسنة عشر أمثالها (١) ، الا فاشهدوا انى قد تصدقت بهذه العير على فقراء أهل المدينة .

وفى موقعة بدر الكبرى يقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذ آراء الناس فى مقاتلة أهل الشرك ، فيقوم اليه المقداد ابن الأسود رضي الله عنه فيقول : « يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون . ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، والله لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . (٢) . وحين يشتد القتال ، وتحتدم الحرب يقوم النبى صلى الله عليه وسلم محرضا مشجعا فيقول (والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة : فيقوم عمير بن الحمام رضى الله عنه وبيده تمرات يأكلها فيقول : « بخ بخ ، ما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل » (٣) .

وأخيرا ان النظم التى سادت ، والتى لا تزال سائدة ، يعيبها ، بل ان اكبر عامل في زوالها ، انها لم تتوصل الي تحقيق الدافع الذاتي ، او الوازع النفسي ، وانما اكتفت بفرض احكامها فرضا ، وحفتها بالقوة لأجل التطبيق ، لذا كان التهرب من احكامها ظاهرا وبشتى السبل ، ومهما تفننت الدول فى مراقبة من تطبق عليهم الأحكام ، ومهما فرضت على المخالفين من عقوبات ، فان الناس تفننوا فى التهرب من قبضتها واكثروا من مخالفتها والخروج على احكامها .

فى حين أن المسلم الذى نال من هذه الخصلة ايسرها ، وبلغ من هذه المرتبة ادناها ، يطبق من الأمور اصعبها واشدها ، من غير رقيب او حسيب الا رقابة الله ، فيمتنع عن الأكل والشرب في رمضان ولا حائل بينه وبين الطعام الا الايمان ويخرج من امواله الآلاف من غير اكراه ليوزعها على الفقراء . فى حين أن اشد المتمسكين بالقوانين يتهرب من دفع (الضريبة) وان كانت اقل بقليل مما يخرجه الفرد المسلم .

وما أصدق الشاعر حين يقول :

لا تفتهي الأنفس عن غيها ... ما لم يكن منها لها زاجر

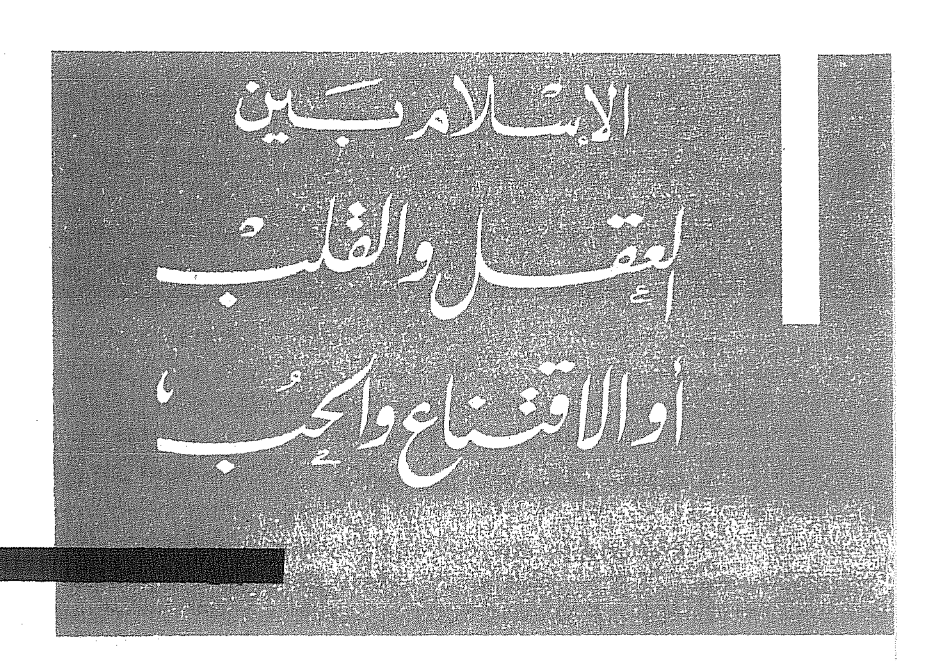
---

(١) يشير الى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون) (الآية ١٦١ من سورة الأنعام)

(٢) نور اليقين ، سيرة سيد المرسلين للخضرى ص ١١٥ الطبعة الثالثة عشرة .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩ .

من النعمان بن بشير رضي الله عنهم انظر راموز الأحاديث لمؤلفه احمد ضياء الدين الكمشخانوي



للدكتور : محمد سعيد رمضان البوطي
المدرس بكليتي الشريعة والآداب
جامعة دمشق

القلب قوة مهملة في حياتنا

خلق الله الانسان ، وجهزه بحقيقتين عظيمتين ، هما : العقل والقلب ، واقام كلا منهما على وظيفة لا يتأتى ان يقوم بها غيره ، ولا يصلح من دون تحقيقها شيء من امر الدنيا او الآخرة .

اما العقل ، فوظيفته ان يقبل على الأشياء فيدركها على حقيقتها ، وأن يستدل بظواهر الامور على ما وراءها ، وأن يتوصل من وراء ذلك الى معرفة الله عز وجل ، والى الايمان بوحدانيته وربوبيته المطلقة .

واما القلب ، فوظيفته أن يسير من وراء هدى العقل ، فيحب الخير الذى اثبت العقل انه خير ، ويكره الشر الذى اثبت العقل انه شر ، ويجعل ملاك ذلك كله في محبة الله عز وجل ومحبة رسوله .

ولا بد لعمارة الكون وتحقيق النظام فيه ، من عمل كل من هذين الجهازين ، فلولا العقل لامتزجت نزوات النفس وأهواؤها ، بخفقات القلب وعواطفه ، ولتلاقى السفل والعلو على ايقاد شر مستطير من شأنه أن يفسد كل شيء : (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ..)

ولولا القلب ، لما وجد الخير الا في دنيا الوهم والخيال ، ولظل بنيان الفضائل والمثل العليا مجرد رسوم وخطوط على الورق ، أو كلمات وجمل حلوة على الشفاه ..

فالعقل اذا هو القدرة الكاشفة والمخططة ، والقلب هو القوة الدافعة والمحركة ، ولا بد في كل عمل او بناء من التخطيط المنظم له أولا ، ثم الاداة المنفذة له ثانيا .

وبسبب أن الاســـلام هو جامع الفضائل كلها ، فقد كان لا بد لتحقيقه من الاعتماد على كلا هذين الجهازين العظيمين . فمن اجل ذلك جاء الاسلام يخاطب العقل والقلب معا : يخاطب العقل ليدرك ويتدبر . ويخاطب القلب ليحب ويتأثر .
وانك لتجد آيات الكتاب المبين تتجه الى تحريك نياط القلب فى الوقت الذى تتجه فيه الى ايقاظ مدارك العقل ، وذلك لينهض كل بعمله ، وليسهم كل منهما فى تحقيق انسانية الانسان ، ثم فى اقامته على صعيد من العبودية التامة لله عز وجل .

وانك لتجد ذلك ايضا فى احاديث رسول الله صلى الله عليه وســـلم . فقد كان يأبى عليه الصلاة والســـلام دائما الا أن يقرن الايمان العقلى بالمحبة القلبية . ألم تسمعه يقول فى الحديث المتفق عليه : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون احب اليه من ماله وولده والناس اجمعين) .
وفى الحديث الآخر المتفق عليه ايضا : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه الا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر ، بعد أن أنقذه الله منه . كما يـــكره أن يقذف فى النار) .

ثم انك تجد هذا المعنى ايضا متمثلا فيما اتفق عليـــه جمهور علمـــاء المسلمين من أن الايمان يزيد وينقص ، وأن المســـلم مطالب بالعمل على تقوية ايمانه وزيادته .
وبدهى أن مجال هذه الزيادة لا يمكن أن يكون العقل . ذلك لأن العقل اذا ارتقى فى ادراك الشىء الى درجة التصديق والاذعان ، فقد وصل الى النهاية التى لا يمكن أن يتجاوزها ، اذ الادراك للشىء لا يعدو أن يـــكون تصـــورا أو تصديقا ، والتصديق نهاية عقلية عليا لا تقبل التفاوت والتشكيك ، لا جرم اذا أن التصديق العقلى غير قابل لأى زيادة او نقصان .

ولكن مجال هذه الزيادة انما هو القلب .. ففى القلب سلم من العواطف لا تـــكاد تتناهى درجاته ، وفيه وقود هائل من الاشـــواق العارمة لا يقوى على وصفه أى قلم أو بيان . ففى هذه البوتقة ينضج الايمان ويترعرع ، وفيه تتوالد معجزات الايمان التى طالما سمعنا بها قديما وأجدبت منها حياتنا حديثا .
وانظر الى البيان الالهى ، كيف يصور هذا المجال القلبى لتقوية الايمان وزيادته ، تأمل فى قوله تعالى : (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) وانت خبير ان كلمتى : حبب وزين انما يعرفها قاموس القلوب ، فهما يأتيان من وراء يقين العقل واذعانه .

ثم ان هذه المحبة ليس معناها الحقيقي الاتباع والسلوك العملى ، كما قد يتصور بعض الناس ، بل هى مســـتعملة فى معناها الحقيقى نفسه ، وليس الاتباع الا اثرا من آثارها .

وكيف تكون محبة الله ورسوله هى الاتباع العملى ؟ انما الاتباع نفسه يحتاج من وراء اليقين العقلى الى محبة قلبية دافعة ؟ .. ومن البداهة بمكان أن شيئا من صور التضحيات الرائعة التى قدمها الصحابة بالنفس أو المال لم يكن هو المحبة نفســـها ، وانما كان اثرا من آثار المحبة العـــارمة التى فاضت بها قلوبهم ، والا لكان مجرد التصديق بشىء ما هو وحده سر التضحية فى سبيله ، واذا لكان من اللازم العقلى أن يتساوى المسلمون كلهم فى صفة البذل والتضحية

والفداء . ومن الذى يقول هذا ؟ .. ومن الذى زعم أن المسائل العقلانية (١) وحدها من شأنها أن تؤثر فى العواطف والقلوب ؟ وهل سمع أحد من الناس أن رجلا ضحى بحياته ايمانا منه بقاعدة رياضية أو مسألة من مسائل الجبر ؟ ..

ولعمرى كم كان جان جاك روسو على حق يوم أخذ يسخر ممن يظن أن الايمان المجرد بالفضيلة يعتبر انتصارا لها وتحقيقا لمبادئها . فنراه يقول : (كم قيل وأعيد القول عن الرغبة فى اقامة الفضيلة على العقل وحده ، ويا له من أساس متين .. اى أساس هذا ؟ !! .. ان الفضيلة كما يقولون هى النظام ، ولكن هل يستطيع الايمان بالنظام أن يتغلب على مسرتى الخاصة ؟ ان هذا المبدأ المزعوم ليس الا لعبا بالالفاظ ، فالرذيلة هى حب النظام بشكل مختلف) .

وانظر ، فلقد ادركت أمريكا يوما ما ، ما فى الخمر من الاضرار الجسيمة المختلفة ، وآمنت بذلك ايمانا عقلانيا قائما على مختلف الادلة التجريبية والعلمية القاطعة . واقدمت الحكومة الامريكية بناء على ذلك على اصدار قانون بتحريم الخمر .. ولكن ما الذى تم بعد ذلك ؟ . لم تمض فترة حتى أخذت رؤوس أولئك المقننين أنفسهم تتمايل من الم الحرمان .. ثم ما هو الا أن عادوا فنكصوا على أعقابهم ، فمزقوا القانون الذى كانوا قد أصدروه ، وراحوا يعكفون على أقداحهم يترعونها من جديد .. أما فى المدينة المنورة ، وقبل اربعة عشر قرنا ، حيث جماعة من الأميين قامت حياتهم منذ أمد طويل على الخمر والشمس والماء والهواء ، يقتاتون دنان الخمر كما يقتات الناس زكائب الحنطة ، فقد وقعت المعجزة هناك بسر آية واحدة لم تزد على بضع كلمات .

ما كاد أولئك المؤمنون يسمعونها ، ويسمعون قول ربهم جل جلاله فى ختامها : (فهل أنتم منتهون) ؟ حتى أريقت الدنان ، وحطمت الأقداح ، وتعالت الصيحات : انتهينا يا رب ، وفى ساعة واحدة تحولت الخمر من عنصر من عناصر الحياة كانت ضرورتها من ضرورة الشمس والماء والهواء الى رجس مستقذرة شنيع وفى ساعة واحدة .. نسخت عادة متمكنة أصيلة كأن لم تكن بالأمس وكأن لم تكن لها جذور بعيدة راسخة ..

فما الفرق بين أمريكا التى آمنت عن تجربة ودراية وعلم ، وبين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين استقبلوا الامر تلقيا وآمنوا به غيبا ؟ ..

هنالك ، يقين فكرى أعزل ، لا تشايعه النفس ، ولا يؤيده الهوى ، وهنا شىء وقر فى القلب بعد أن استقر فى الفكر . والقلب ــ كما تعلم ــ سيد هذا الكيان الانسانى كله ، يقوده كما يحب ، وفى السبيل التى يريد .

ثم ان القلب كالمرآة ، لا يمكن ان يخلو من صورة تظهر على صفحتها .. فاما أن تثبت فيه صورة من عكر الدنيا وأهوائها ، واما أن يشرق بالمحبة الالهية الصادقة . واذا فاض القلب بعكر الشهوات والاهواء ، فهيهات أن يصبح الاعتقاد وحده حاملا لصاحبه على أى عمل من أعمال التضحية أو الفداء .

---

(١) لعل البعض يقول : ان هذه النسبة الى العقل غير صحيحة فى اللغة ، والنسبة الصحيحة : عقلى . ولكنى لا أجد أن غير كلمة (عقلانى) تدل فى هذا الباب على المعنى الذى اريد ، فلتشفع للكلمة دلالتها ووجهها ..

كيف نغرس المحبة وننميها ؟

ولعلك تسائلني الآن : فما هو السبيل الى غرس المحبة الالهية في القلب وتزكيتها حتى يزداد بذلك الايمان ، وتتوفر مقومات التضحية والبذل والجهاد ؟

والجواب يا أخي المسلم ، ان لك الى ذلك سبلا كثيرة .

فمن اهم هذه السبل ان تخلو الى نفسك بين كل فترة واخرى مدة من الزمن ، تتأمل فيها نفسك وحقيقتها ومنشأها ، ومدى حاجتها الى عناية الله وتوفيقه ، في كل لحظة من لحظات الحياة ، وفي الناس ، ومدى ضعفهم أمام الخالق عز وجل ، وفي عدم أي فائدة من وراء مدحهم أو قدحهم ، ثم تتفكر في مدى عظمة الخالق جل جلاله ، وفي مظاهر آلائه ونعمه المختلفة التي لا تحصى ، وكيف اسبغ عليك رداء ستره ، فحجز عن الناس عيوبك ، وابقاها سرا بينك وبينه ، ثم اشاع فيهم مناقبك وفضائلك . ثم ان تتبع ذلك بالاكثار من ذكره ، وتسبيحه بالقلب واللسان ، والاكثار من تلاوة القرآن .

ومن أهم هذه السبل ايضا أن تكثر من التأمل في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ..

واخلاقه ، وطريقة حياته ، ومعاملته للناس ، فان ذلك كله جزء من مظهر نبوته عليه الصلاة والسلام ، ومن شأن التأمل في ذلك تقوية الايمان وترسيخه في القلب ..

ثم ان القلب من شأنه أن يخفق بحب الفضائل ، والمثل العليا ، ومهما بحثت ، فانك لن تجد الفضيلة والمثل العليا والرقة والجمال النفسي والخلقي مجتمعة كلها في كيان واحد ، الا كيان حبيب الخالق العظيم محمد عليه الصلاة والسلام . فلا غرو أن يكون مهوى أفئدة المفكرين والمتأملين ، وقدوة جميع العقلاء المنصفين .

ومن أهم هذه السبل أيضا ، الاكثار من العبادات عامة والصلوات خاصة ، والاستقامة عليها في خشية وحضور ، فذلك هذا الغذاء الذي يبقي على العقيدة وينميها ، ويقوي جذورها في النفس والقلب .

ولا والله لن تتساقط الآفات المختلفة التي تعلق بالنفس ، ولن يحيا القلب بنور المحبة والعرفان ، الا بعد أن يزداد التعبد والتبتل في حياة المسلم ، حتى يمتد أثرهما الى النفس والقلب فيهزهما هزا ، ويدفعهما جيئة وذهابا ، بين طرفي الخوف والرجاء ، فعند ذلك تتساقط تلك الآفات العالقة بالنفس ، وتتبدد تلك الغاشية المكرة الممتدة على صفحة القلب .

فاذا سار المسلم في هذا السبيل ، وتهيأ له القيام بهذه المهام ، نبتت له من ذلك في قلبه محبة الهية عارمة ، تجعله لا يخشى أى عظيم ، ويحتقر كل مغرية من المغريات ، ويستهين بكل ايذاء وعذاب ، ويستعلي فوق كل اذلال أو استهزاء . ولعمري تلك هي العدة الكبرى التي جهز الله بها حبيبه محمدا عليه الصلاة والسلام ، للقيام بأعباء الدعوة الاسلامية ، وهي العدة التي ينبغي أن يتسلح بها من بعده كل مسلم .

مكمن الداء في حياتنا

أريد أن أضع يدك يا قارئي الكريم بعد هذا الذي ذكرت ، على مكمن الداء العضال في حياتنا الاسلامية اليوم .

ان داءنا المستحكم العضال ، هو اننا مسلمون بالفكر والعقل فقط ، لا بالحب والقلب ايضا ، أى اننا نمارس اسلاما عقلانيا مجردا ، بعيدا عن جواذب القلب ومؤثراته .

ومثل هذا النوع من الحياة الاسلامية قد يثمر ثروة فكرية عظيمة ، أو مكتبة اسلامية واسعة ولكنه لن يثمر ابدا السعادة الاسلامية المنشودة .

ان اقل تجسيد لهذه الحقيقة التى اقولها ، انك قد تلتقى مثلا بجماعة من المسلمين لهم مركز الصدارة فى الفكر والقيادة الاسلامية فى المكان الذى يوجدون فيه ، ويبدأ الحديث بينهم عن الاسلام ، وكيفية الدعوة اليه ، والنهوض به ، وواجب المسلمين فى هذا العصر ، ويخوضون فى هذا الحديث فى نشاط ولذة وحماس ، ويتعالى صوت مؤذن على مقربة منهم يؤذن للصلاة ، والحديث لا يزال موصولا !! وينتهى صوت الآذان ، ويذوب فى ضوضاء الحديث وصخبه !! ..

ويمتد وقت طويل بعد ذلك ، والقوم مشغولون عن الاستجابة للأذان ، والقيام الى الصلاة ، بالحديث عن الاسلام والاهتمام بشأنه .. ويوشك وقت الصلاة أن يخرج وهنا ربما يقترح احدهم استراحة دقائق ليقوموا الى الصلاة .. وتبدأ صلاة سريعة ، قد لا تزيد على ركعات الفرض وحده ، وتتأمل فى مظهر صلاتهم ، فلا تشك أن كل واحد منهم منصرف بتفكيره الى الحديث الذى قاموا لتوهم عنه !!

وما هو الا ان يسلموا يمنة ويسرة ، حتى يلتفتوا الى بعضهم البعض مرة اخرى ، وقد تذكر هذا فى الصلاة ما كان قد نسيه اثناء الحديث ، وقام فى ذهن الآخر اشكال تصوره عند قراءة الفاتحة .. ويعود الحديث بينهم عن الاسلام ومشاكله ، وما يتعلق به ، وقد نسوا أن من وراء الصلاة التى فرغوا منها تسبيحا وذكرا ودعاء ، وان لها تتمة من الرواتب والنوافل ، وان كل هذا الذى يخوضون فيه من الحديث انما هو وسيلة الى هذه الغاية العظيمة !

وهكذا دواليك .. وقس على هذه الصورة غيرها من أشباهها .

غير ان الذى هو أهم من هذه الصورة نفسها ، ان الكثيرين من المسلمين اليوم يدافعون عنها ، ويتفلسفون فى الدعوة اليها ، ويقتنعون ويقنعون أن الاسلام ليس إلا هذا المظهر الحركي الذى ينطبع شكله فى البحوث الفكرية ، والمناقشات النظرية ، والتنظيمات الشكلية ، ويظلون يقللون من أهمية العبادة ، والتبتل والأذكار ، ويوهمون انها بضاعة العامة والجهال الذين لا شغل لديهم يملؤون به فراغ وقتهم .

وانى لأذكر حفلا حاشدا فى احدى بلادنا العربية ، كنت أحد الحاضرين فيه ، وأذكر أن أحد المفكرين من العلماء الفضلاء قام فى ذلك الحفل ، فكان مما قال : ان مشكلة كثير من المسلمين اليوم أنهم يحسبون أن الاسلام هو أن يكثر الانسان من الصلاة .. أو أن يكثر من التعبد .. مع أن الاسلام هو العمل والبناء .

ولقد أخذت التفت اذ ذاك بهدوء عن يمينى ويسارى أنظر فى وجوه الحاضرين ، ثم رحت أتأمل فى نفسى طبيعة أهل تلك المدينة كلها ، فما هدتنى عيناى ولا أرشدنى خاطرى الى أن ثمة أقواما انقطعوا عن الحياة الدنيا فى كهوف قاصية للعبادة والصلاة .. وتأملت ، فوجدت أن أعظم متعبد فيهم هو ذاك الذى يحافظ على فرضه يؤديه جماعة فى وقته ، وقد يتبعه بركعات خفيفة من نوافله المتممة .. فما وجه الحاجة الى هذا الكلام وما الضرورة الداعية

الى التكريه بالصلاة أو الدعوة الى التخفيف من العبادات ، وما فى الحاضرين كلهم والبلدة بأسرها الا مقصر عن الحد الأدنى فى ذلك (1) ؟ . .

والعجيب أن ندعو بعد ذلك الى العمل . . والبناء . . والتضحية . .

فما الذى ينهض بالمسلمين الى القيام بذلك كله ، وهم مقيدون بأثقال واغلال من الشهوات والأهواء والمطامع الدنيوية المختلفة ؟ . ما الذى يحملنى على استدبار شهواتى وأهوائى ، وان قلبى ليخفق بحبها والتعلق بها ؟ .

ان الامر يحتاج ولا ريب الى مساعد ومعين ، فأين هو المساعد والمعين وما هو ؟

لقد اجاب البيان الالهى عن ذلك ، ووضع بين يدينا المساعد والمعين ، وذلك فى قوله جل جلاله (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وطالما وضع البارى جل جلاله هذا الدواء المساعد بين يدى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كلما حزبه امر ، أو اطبقت عليه شدة ، أو استيقظت فى نفسه بعض المشاعر البشرية : تأمل مثلا قوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . ومن الليل فسبحه وأدبار السجود . .) .

وامعن النظر معى فى هذه الآيات الاخرى : (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا . واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا . ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) .

ومعاذ الله أن يكون اسلافنا من المسلمين الذين شادوا صرح هذا الدين ببطولاتهم وجهادهم وتضحياتهم ، قد اقبلوا على ذلك الا بعد أن أزاحوا عن انفسهم أثقال الشهوات ، واغلال الاهواء ، بسلاح من العبادة والتبتل ، والوقوف على الاقدام بين يدى ربهم الساعات الطوال ، فى جنح الليل ، يسكبون دمعا ساخنا ويناجونه فى دعاء خاشع ، ويذكرونه بقلب واجف . .

ولا والله ، لن يستطيع مسلمو اليوم ، أن يسيروا وراء خطى اجدادهم بالأمس ، الا اذا غمرت اللوعة قلوبهم ، وتلظت الاشواق الالهية بين جوانحهم ، وملئوا اكوابهم بتلك الخمرة العلوية التى تنشلهم من قتام هذه الشهوات والاهواء ، وتعالوا بوجدانهم الى مستوى الحقيقة العليا .

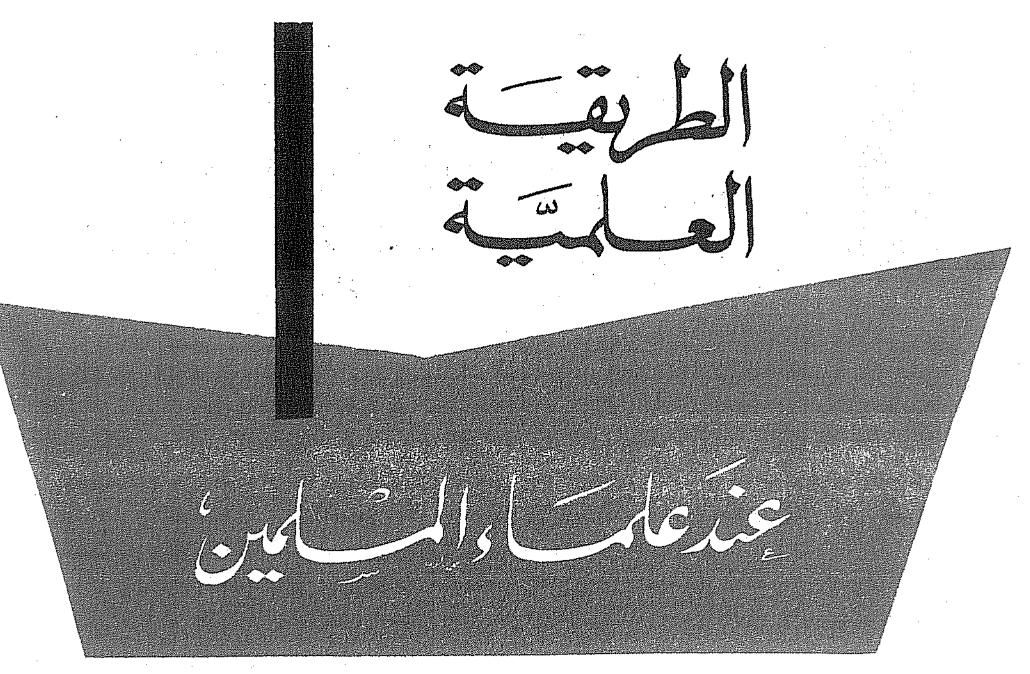
الا أن لوعة الحب وحدها هى السوط السائق ، والتيار المحرك . والمحب هو وحده الذى يبذل الجهد شوقا الى المحبوب ، فيسهل بذلك عليه الصعب ، ويقرب له البعيد ، وتفنى لديه القوى ، وتذوب فيه الحياة ولا يرى أنه قد أوفى بعهد المحبة ، أو قام بواجب شكر النعمة .

ويوم يعمر هذا الحب قلوب المسلمين اليوم ، يتكامل البنيان كله ، ويتوفر العمل جميعه ، وتتجلى معجزات التضحية والبذل والجهاد ، وتتنزل معجزات النصر والعزة والتأييد .

---

(1) لا أظن أن العالم المتحدث كان يرمى الى شىء مما اخذه عليه الكاتب ، وانما يرمى الى تصحيح فكرة خاطئة قاصرة عند كثير من المسلمين هى أنهم يجعلون الصلاة فقط مظهر التدين ناسين النواحى العملية السلوكية فى الحياة وهى التى يوجه اليها الاسلام عناية خاصة حتى جعل الصلاة والصيام وسيلة من الوسائل المؤدية اليها . . والمسلمون جميعا فى حاجة الى أن يفهموا تماما ان الاسلام عبادة ومعاملة وكل منهما لا بد منه لتكوين المسلم الصحيح . وكل أمر من أمور الاسلام له وضعه وله منزلته والصلاة طبعا فى المقدمة على الا يجعلها المسلم هى كل شىء فيتوفر عليها وينسى أو يهمل ما عداها مما عده الله ثمرة من ثمراتها « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

« الوعى »



الأستاذ قدرى حافظ طوقان

ظهر من علماء المسلمين من دعا الى الدقة فى العمل ، واجراء التجارب ، والاحتياط فى الاستنتاج . ومن هؤلاء « جابر بن حيان » من أعلام علماء المسلمين الذين أسدوا أجل الخدمات الى الكيمياء والعلوم الطبيعية .

لقد دعا « جابر » الى الاهتمام بالتجربة ، وحث على اجرائها ، مع دقة الملاحظة ، كما دعا الى التأني وترك العجلة وقال : « .. ان واجب المشتغل فى الكيمياء هو العمل ، واجراء التجربة ، وان المعرفة لا تحصل الا بها .. » وطلب من الذين يعنون بالعلوم الطبيعية الا يحاولوا عمل شيء مستحيل ، أو عديم النفع ، وعليهم أن يعرفوا السبب في اجراء العملية ، وأن يفهموا التعليمات جيداً (لأن لكل صنعة أساليبها الفنية) على حد قوله ، وطالبهم بالصبر والمثابرة والتأنى باستنباط النتائج .

وكان لجابر هذا ، فضل كبير على من أتى بعده من كيميائى العرب والمسلمين ، حتى أن بعض العلماء اعتبر الكتابة غير دقيقة ان لم تسبقها تجارب .

وقال الجلدكى عن الطغرائى .. كان الطغرائى رجلا على جانب عظيم من الذكاء ، ولكنه لم يعمل الا قليلا من التجارب ، وهذا أمر يجعل كتاباته غير دقيقة ..) .

ومن علماء المسلمين الذين اشتهروا بالتدقيق ــ حين البحث في النبات ــ رشيد الدين بن الصورى . فقد كان يستصحب معه مصورا (حين البحث عن الحشائش فى منابتها) ومعه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها .

دستور البحث العلمى

وننتقل الآن الى الدستور الذى وضعه بعض علماء المسلمين للبحث العلمى

والفلسفي ، كما ورد في رسائل « اخوان الصفا » . وقد وصف بعض العلماء المحدثين بأن هذا الدستور محكم ورائع ، ويرى الباحثون أنه وليد المنطق الذى اقتبسه المسلمون عن اليونان ، ويدللون على ذلك بالمقارنة بين مواده والمقولات العشر المسماة عند اليونان (قاطيفورياس) . فلقد شرح الاستاذ « مظهر » في مقال ظهر له في كتاب (نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية) أبواب دستور البحث العلمي ، ثم أعقب ذلك بشرح المقولات ، فثبت له « أن أسلوب البحث عند أسلافنا أصله يوناني ، أو بالحرى مستمد من أصل يوناني » ولا يخفى أنه ليس في هذا ما يغير أو ينقص من قدر المسلمين العلمي ، فالانسان دائما وأبدا يأخذ ما عمله غيره ، ويزيد عليه اذا استطاع . وزيادات المسلمين في هذا الميدان أساسية .

ومن الرسالة السابعة من رسائل اخوان الصفا التي تبحث في الصنائع العلمية ، يتبين أن المسلمين اتبعوا دستورا محكما في البحث العلمي ينحصر في تسعة أحكام وها هي كما يلي :

السؤال الاول : هل هو ؟ يبحث عن وجدان شيء أو عدمه ، والجواب : نعم أولا .

السؤال الثاني : ما هو ؟ يبحث عن حقيقة الشيء .

السؤال الثالث : كم هو ؟ يبحث في مقدار الشيء .

السؤال الرابع : كيف هو ؟ يبحث عن صفة الشيء .

السؤال الخامس : أي شيء هو ؟ يبحث عن واحد من الجملة أو عن بعض من الكل .

السؤال السادس : أين هو ؟ يبحث عن مكان الشيء أو عن رتبته .

السؤال السابع : متى هو ؟ يبحث عن زمان كون الشيء .

السؤال الثامن : لم هو ؟ يبحث عن الشيء المعلوم .

السؤال التاسع : من هو ؟ يبحث عن التعريف للشيء .

وتدل هذه الاسئلة على الاتجاه العلمي الذى كان يسير عليه بعض العلماء المسلمين في بحوثهم وكتاباتهم ، وهو يحصر اتجاهات العقل (.. ولكن لا يقر المتجه الذي ينبغي أن يتجه فيه العقل ازاء كل بحث بعينه ..) .

ولا يقف الامر عند هذه الحدود ، بل نجد انه وجد في المسلمين وبين علمائهم من كشف عناصر الطريقة العلمية المعروفة الآن ، والتي تميز هذه الحضارة عن التي سبقتها . وقد جعلنا بحثنا يدور حول السؤال الآتي :

هل وجد في المسلمين من سار على الطريقة العلمية وسلك في اصولها ؟

ما كنت اظن أن للمسلمين أثرا في كشف عناصرها ، والتمهيد الى اصولها ، حتى بحثت في مآثر المسلمين في الفيزياء ، واطلعت على كتاب (الحسن بن الهيثم) . بحوثه وكشوفه البصرية للأستاذ مصطفى نظيف .

ويشتمل هذا الكتاب النفيس القيم على بحوث علم الضوء الموجودة في كتاب المناظر لابن الهيثم ، وفي مقالات اخرى ، وبعد ان درسها الاستاذ مصطفى نظيف ، وفحصها ، وأعمل فيها التحليل والموازنة والمناقشة ثبت له ان ابن الهيثم (.. قد توافرت فيه (مميزات التفكير العلمي الصحيح) ، وهي تدل على مدى نضج الفكر ، وعمق النظر في عصر ابن الهيثم على النحو الذى وردت في بحوثه في الضوء) .

وأرى قبل التدليل عليها ، أن ألفت النظر الى أن علماء المسلمين لم يتوسعوا في الطريقة ، ولم ينقلوها على النحو الذى توسع فيها واستغلها علماء أوروبا وأمريكا الآن ، كما أنهم لم يدركوا ما لهذا الاسلوب من شأن خطير ، كما أدركه علماء هذا العصر . ولكن يمكن القول أن كتاب (المناظر) لابن الهيثم يدل على

انه وجد في المسلمين من سار في بحوثه على الطريقة العلمية ، كما وجد بين علمائهم من سبق (بيكون Bacon) في انشائها ، بل ومن زاد على طريقته التي لا تتوافر فيها جميع العناصر اللازمة في البحوث العلمية .

أما العناصر الاساسية في طريقة البحث العلمي الحديث فهي : الاستقراء ، والقياس ، والاعتماد ، والمشاهدة ، أو التجربة والتمثيل .

ولقد أدرك (ابن الهيثم) الطريقة المثلى ، وقال بالاخذ بالاستقراء والقياس والتمثيل ، وضرورة الاعتماد على المواقع الموجودة على المنوال المتبع في البحوث العلمية الحديثة .

ففي كتاب (المناظر) عند البحث مثلا في كيفية الابصار ، واختلاف العلماء فيه يقول :

« ونبتدىء في البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح احوال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الابصار ، وما هو مطرد لا يتغير ، وظاهر لا يشتبه من كيفية الاحساس . ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدريج والتدريب ، مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط في النتائج ، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل ، لا اتباع الهوى ، ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق الذي به مثلج الصدر ، ونصل بالتدرج واللطف الى الغاية التي عندها يقع اليقين ، وتظهر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف ، وتنحسم به مواد الشبهات .. وما نحن مع ذلك براء مما هو في طبيعة الانسان من كدر البشرية ، ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الانسانية . ومن الله نستمد العون في جميع الامور » .

ومن أقواله هذه تتجلى لنا الخطة التي كان يسير عليها في بحوثه ، وان غرضه في جميع ما يستقريه ويتصفحه (استعمال العدل لا اتباع الهوى) . وبعد ذلك نراه قد رسم الروح العلمية الصحيحة ، وبين أن الاسلوب العلمي هو في الواقع مدرسة للخلق العالي ، فقواعده التجرد عن الهوى ، والانصاف بين الآراء ، فيكون قد سبق علماء هذا العصر في كونه لمس المعاني وراء البحث العلمي الحديث .

وكان يرى في الطريق المؤدي الى الحق والحقيقة (ما يثلج الصدر) — على حد تعبيره — وهذا ما يراه باحثو هذا العصر من رواد الحقيقة العاملين على اظهار الحق . فان وصلوا الى ذلك فهذا غاية ما يبغون ويؤملون ..

يسبقه ويتفوق عليه

وابن الهيثم في طريقته العلمية التي اتبعها في بحوثه وكشوفه الضوئية قد سبق (بيكون Bacon) في طريقته الاستقرائية . وفوق ذلك سما عليه . وكان أوسع منه أفقا وأعمق تفكيرا . وهو وان لم يعن كما عني (بيكون) بالبحث النظري ، وبتأليف المؤلفات التي يعرض فيها الآراء النظرية في طرق البحث ويلزم العلماء بها الزاما ، فحسبه أنه اتبع الطريقة الصحيحة في بحوثه ، وجرى عليها عملا وفعلا . وان الامر جاء منه على بينة وروية ، وامعان فكر وحسن تقدير .

ويذهب الاستاذ مصطفى نظيف الى أكثر من هذا فيقول : « .. بل وان ابن الهيثم قد عمق تفكيره الى ما هو أبعد غورا مما يظن أول وهلة ، فأدرك ما قال به من بعده (ماك) و (كارل بيرسون) ، وغيرهما من رجال العلم الحديث في القرن العشرين . أدرك الوضع الصحيح للنظرية العلمية ، وادرك وظيفتها الحقة بالمعنى الحديث .

ويمكن القول — من نصوص أقوال ابن الهيثم — أن تفكيره اتجه الى الوجهة التي يتجه اليها التفكير العلمي الحديث « .. وانه ليس من المغالاة أيضا القول بأنه قد أدرك عن بينة الطريقة الحديثة فى البحث العلمى ، وأدرك الاوضاع الصحيحة لما نسميه الحقائق العلمية .. »

وفعلا سلك ابن الهيثم فى بحوثه الطريقة الحديثة في البحث . وقد وصل بسلوكه الى الحقيقة التى ينشدها بالمعنى الذى رآه . وهذا يتجلى بأوضح بيان ، وابلغ صورة في الكتاب النفيس (الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية) تأليف الاستاذ مصطفى نظيف .

يعتمد على التجارب

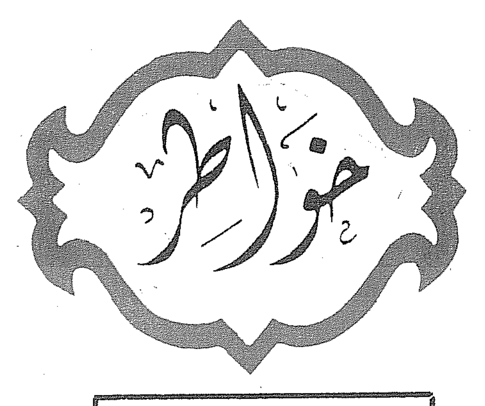
ومن الحق أن أشير اشارة بسيطة الى موضوعات كتاب (المناظر) . فلقد استدل ابن الهيثم فى جميع بحوثه فى الضوء على القواعد والقوانين الاساسية بتجارب ، واستعان باجراء التجارب بالمعنى الذى نعنيه الآن . وذهب الى أبعد من ذلك ، فلقد أدرك قيمة التجربة فى البحوث العلمية ، فهو لا يعتمد على التجربة في اثبات النتائج التى تستنبط بالقياس بعد ذلك من تلك القواعد والقوانين .

ومن مميزات ابن الهيثم انه كان يشرح الجهاز ، ويبين وظيفة أجزائه المختلفة ، واستعمل أجهزة مبتكرة لشرح الانعكاس والانعطاف ، وتدل تجاربه وحساباته على انه استطاع أن يجمع بين مقدرته الرياضية وكفايته العلمية الممتازة (.. يدل عليها صنع الاجهزة واستعمالها فى الاغراض المختلفة ..)

وكذلك يمتاز كتاب (المناظر) بعناية (ابن الهيثم) بالقياس . فهو بعد أن يثبت المبادىء الاولية بالتجربة ، يتخذ تلك المبادىء قضايا يستنبط منها بالقياس النتائج التى تفضى اليها ، ويشرح على هذا النمط كثيرا من الظواهر الهامة فى الضوء .

ويتبين من بحوث الكتاب أيضا أن « ابن الهيثم » أدرك قيمة التمثيل فى البحوث العلمية ، ولهذا استعان به فى بعض المواضع ، وكان فيها موفقا ، وفى بعضها كان مبتكرا وملهما . والذى نستخلصه من مآثر « ابن الهيثم » ونتاجه الفكرى ، انه سلك فى البحث سبيلا تتوافر فيه خصائص البحث العلمى .

وقد خرج الاستاذ مصطفى نظيف من دراسته « بحوث ابن الهيثم فى الضوء » بالآتي : « .. ليكن ابن الهيثم قد استفاد بمعلومات من تقدموه ، وبحوث من نقدوه ، فقد استفاد حتما طوعا او كرها ، ولكنه أعاد البحث عن كل هذه الامور من جديد ، ونظر فيها جميعا نظرا جديدا لم يسبقه اليه احد من قبله . واتجه فى هذا النظر وجهة جديدة لم يؤتها احد من المتقدمين ، واصلح الاخطاء ، واتم النقص ، وابتكر المستحدث من المباحث ، واضاف الجديد من الكشوف ، وسبق فى غير قليل من ذلك الاجيال والعصور ، واستوفى البحث اجمالا وتفصيلا ، وسلك فى البحث سبيلا تتوافر فيه خصائص البحث العلمى ، مع ما فى هذه الطرق من قصور ، ومع ما فيها من ميزات ، واستطاع ان يؤلف من كل ذلك وحدة مترابطة الاجزاء ، على قدر ما كان يمكن ان ترتبط به اجزاؤها فى عصره ، وان وجدنا فيها عيبا او نقصا فتلك سنة الله فى المباحث العلمية . وهو فيها لم يبدع ولم يبتكر فحسب ، بل هو ايضا اقام بها الاسس التى انبنى عليها صرح علم الضوء من بعده .. » .



يكتبها : عبد المنعم النمر

حديث ذو شجون :

مضى العيد ، وستأتي أعياد ، ويبقى الحديث عنها ذا شجون .

فقد بدت الامة العربية في احتفالها بالعيد كما بدت في الاعوام السابقة ، كأنه لا شيء يمر بها ، ولا أحزان تصيبها في كيانها ، وتلف كثيرا من اسرها !! وقد كانت أغاني العيد السارة ، واعلانات الصحف عن الاحتفالات بالعيد ، تصدم سمعي وبصري ، وتثير في نفسي كثيرا من الاسى واللوعة .. لا لأنني أكره الفرح ومظاهره ، ولكن لأن ذلك كله غير مناسب لحالنا وواقعنا كأمة مصابة في عزتها .. وكأسر مصابة فوق ذلك بفقد أعزائها ، وفقد أمنها وأوطانها واستقرارها ، وقد كان الذي يثير في نفسي الاسى اكثر من هذا كله واشد ، أن أرى بعض الذين أصيبوا بفقد وطنهم ودورهم وتشريد أسرهم يقبلون على مظاهر العيد كأن لم يكن شيء .. وكأنهم فقدوا حاسة الألم لفقد ما فقدوه ، أو كأنهم يعيشون للقمة العيش التي توفرت لهم ، وليذهب كل شيء بعد ذلك الى الجحيم . وأقول بعض الذين أصيبوا لا كثرتهم .. وكنت أعزي نفسي بأن في كل شيء سقطا ، وفي الناس سقط كذلك ، وكما قيل : الناس معادن ..

وشيء آخر أثار شجوني ، فقد وجدت العيد يتمزق ، او وجدت المسلمين يتمزقون فيه ، بعد ما قرت عيوننا بتجمعهم في بدء شهر الصوم ، وقد شغل الناس هذا التمزق أو هذا الاختلاف وأثار تعليقاتهم بشكل ملحوظ ، حتى لم يكن حديث للناس في يوم العيد الا هذا الحديث .. وفي كل مجلس تجد الاخذ والرد .

جماعة يقولون لقد اجتمعنا في بدء الصيام اخذا برؤية جهة من الجهات ، وقلنا ان المسلمين أمة واحدة ، ولذلك نعلن بدء شهر الصوم ، فلماذا لم تأخذ بذلك في انهاء شهر الصوم ؟

وآخرون يردون ويقولون : ولكن هل يصح علميا ان يكون رمضان ناقصا باستمرار لمدة خمس سنوات أو عشر مثلا ، فلا نصومه نحن وبعض البلاد

المجاورة لنا الا تسعة وعشرين يوما طوال هذه المدة ؟ وما صمناه كاملا أبدا فيهـــا .؟

وهل يمكن الاعتماد على رأى من يتقدم للشهادة ، حتى ولو كان مؤدى شهادته لا تتفق مع العلم الموثوق به ؟ وحتى لو أحاطت بهذه الشهادة بعض المغريات المادية التي قد تحمل بعض المجازفين على الادلاء بشهادته طمعـــا فى هذه المغريات ؟

ويقومون من مجالسهم ، وينتهى حديثهم ، وفى صدر كل منهم أشياء .. وهذا هو ما يستدعى النظر فعلا ويوجب علينا تحديد هذه الامور . فانها تتصل بركن هام من أركان الاسلام ولا يصح دينا ولا عقلا أن يترك المسلمون فى أمر كهذا يتخبطون فيه هكذا .. ونقول : المسئولية على من أعلن ..

قد يكون من المقبول شرعا أن نختلف فى بدء الصيام ونهايته ، حسب اختلاف المطالع ، لأن هذا رأى بعض الائمة الذين نجلهم ونقلدهم ، وان كنـــا نفضل الاخذ بالرأى الآخر . ولكن اذا اقترن هذا مثلا بظاهرة تثير الشك ، والاخذ والرد ، كظاهرة استمرار شهر رمضان وحده ناقصا لمثل هـــذه المدة الطويلة ، فان الامر لا يصح تركه يفعل فى نفوس الناس ما يفعل من الريب والحيرة ، ومن التعليقات المرة ؟

وتبدأ مجلة « الوعى الاسلامى » من جانبهـــا بتحمل واجبها ازاء هـــذا الموضوع ، فتوجه الى علماء الفلك فى جميع البلاد الاسلامية هذا السؤال :

هل يمكن من وجهة نظر علم الفلك أن يجيء شهر من الشهور العربيـــة ناقصا باستمرار لمدة تزيد عن خمس سنوات ؟

وسؤال آخر توجهه الى رجال الفقه والتشريع :
هل يمكن الاعتماد ــ ولاسيما فى نهاية شهر رمضان ــ على شـــهادة رصدت لها بعض المغريات المالية ؟

ثم أليس من المناسب الآن أن ندقق فى نصاب الشهادة بأكثر مما كان الامر عليه فى الصدر الاول حين كانت النفوس عامرة بالايمان ، مملوءة بالخشية من الله ؟

ثم أليس الاعتماد على رؤية المراصد بجانب الحساب الفلكى الدقيق الصادر عن العلماء الفلكيين الموثوق بهم أفضل وأحوط لديننا من الاعتماد على شـــهادة شاهد أو شاهدين مستورين لا تدرى من باطن كل منهما وبواعثه شيئا ؟
ذلك هو ما أحب أن يشترك معنا فى بحثه علماء الفلك ، وعلماء الفقه والتشريع أداء لواجب دينى تتحمل جميعا مسئوليته ..
ونحن فى الانتظار ..

□□□

ســؤال :

جــاء فى حديث نشر لرئيس وزراء اسرائيل الســابق يوم ٢٠ اكتوبر واطلعت عليه أخيرا : « كل ما ذكر فى التوراة (من الاراضى) هو من حق اسرائيل ، وانه لا بد من الاستيلاء عليه » .

مطامع غريبة لكن يظهر أنها عقيدة أو بمنزلة العقيدة عند هؤلاء ما داموا متمسكين هكذا بتوراتهم ، وقد دلتنا الحوادث انهم يعيشون ويتصرفون فعلا بمقتضاها .. وهم أصحاب حق فى أن يتمسكوا بعقيدتهم ويتصرفوا حسب توراتهم أو حسب ما يفهمونه ، ويستغلونه لصالحهم منها .

لكن يبقى نحن على الطرف الآخر .. هل قدرنا هذا الموقف منهم ، وهل نعد أنفسنا لاحتمالاته ، وهل عنينا بشحن النفوس بالروح والطاقة الاسلامية التى تجعل كل مسلم صاروخا منطلقا يدمر كل هدف يقف فى طريقه ؟

ان الذين ينطلقون من عقيدتهم الى مجالات الحياة فى السلم والحرب ، وفى الاعتداء على غيرهم لا يمكن أن يصدهم الا أناس ينطلقون من عقيدة قوية تربطهم بالله فى كل حركاتهم ، وفى سلمهم وحربهم ..

وعلى أساس هذه القاعدة يجب أن نعد أنفسنا لملاقاة هذا العدو وردعه والقضاء عليه .

سلاح من جنس السلاح .. ولدينا عقيدة تدفع المسلم الى الموت حبا فى الحياة ..

فلماذا لا نعنى بها .. لماذا لا نجهز أنفسنا بهذا السلاح ، وهو امضى وأفتك من كل الاسلحة اذا كنا فعلا جادين ، ولنا ثأر يؤرقنا ويقض مضاجعنا ..

هذا هو السؤال !!

□□□

منطق واضح :

اسرائيل غلبتنا وكسبت الجولة بالسلاح الجوى الذى دمر السلاح الجوى المصرى فى أول لحظة . هذه حقيقة لا يختص بمعرفتها رجال الحرب الآن ..

وعلى حسب ظنى — ولست بالطبع من رجال الحرب ولكن لى عقل يقدر الامور — أقول حسب ظنى أن اسرائيل لن تستطيع الانتصار علينا بغير المفاجأة بسلاحها الجوى ، أو بغير سلاح جوى متفوق وكاسح ..

وهذه — حسب ظنى أيضا — حقيقة مفهومة ، وتكاد تكون لدينا بديهية ..

فماذا فعلنا تجاه هذه الحقيقة استعدادا لاحتمالات المستقبل ، واستفادة من دروس الماضى القريب ؟

أظن أيضا أنه لو كان لدى الدول العربية سلاح جوى فعال وقت الحرب لكان من الممكن أن يعوض العجز الذى أصاب السلاح الجوى المصرى .. ولأسرع لميدان المعركة ، يضرب اسرائيل فى داخلها ويضرب جيوشها ، ويغطى جيوشنا ويحميها ، ويمهد لها طريق الزحف ، و .. الانتصار .. ولما وقعت أخيرا هذه النكبة أو النكسة التى نعانى آثارها اللعينة ..

أظن ان هذا مفهوم .

ومفهوم أيضا انه لا أمل لنا فى غير قوتنا ووحدة قلوبنا . وتكتل قادتنا ونحن من ورائهم لمحو هذا العار ، وقد تحملوا مسئوليته أمام الله والشعوب والتاريخ .. فلم نعد نفرح بالكلام الكثير ، بل أصبحنا نصاب بالغثاء والدوار كلما سمعناه أو قرأناه .. ونصاب بالفجيعة أيضا كلما احسسنا خلافا أو تهاونا ..

اننى أنصح الآن بقراءة تاريخ الحروب الصليبية ، وما كتب عن العرب المتخاذلين ، الذين كانوا يتماونون مع أعدائهم ، أو الذين كانوا يتخاذلون ، ويثيرون المشاكل والخلافات مع اخوانهم ، جريا وراء مصالحهم .. انصح بقراءة هذا التاريخ ليروا مع كل كلمة تكتب عن هؤلاء لعنات عليهم تتجدد دائما بتجدد قراءتها والاطلاع عليها ..
انصح بقراءة هذا حتى نحذر جميعا لعنات الاجيال المقبلة ، ولعذاب الآخرة اشد وأبقى ..

□□□

الذين قال لهم الناس

لا اريد أن اتحدث فى مسائل سياسية ، فما لنا هنا بها شأن ، ونعوذ بالله من شرورها بالنسبة لأمثالنا ..

وانما اريد أن اقول لاخوانى ، الذين يسمعون الاصوات العالية الصادرة هناك ، من أقصى الغرب ، تنادى وتصرخ ، وتضغط لمد اسرائيل بكل ما تحتاجه من أدوات التدمير ، لتواصل عمليتها فى كبت أنفاسنا .
واقول للذين يفزعون أن المدد المالى الذى يأتى لاسرائيل من هناك من أقصى الغرب بلغ سبعة آلاف مليون دولار فى شكل مساعدات حربية ومدنية !!

وللذين يفزعون أن الطائرات الحربية الفتاكة التى تفوق سرعتها ضعف سرعة الصوت تأتى لاسرائيل من هناك من أقصى الغرب لتضمن النصر المستمر على العرب !!
وللذين يفزعون آثار الحرب الباردة وألاعيب المخابرات الاجنبية فى الصفوف العربية ..

أقول لاخوانى .. ان ذلك كله لا يفزعنا ما دمنا مؤمنين بالله الايمان الذى يهد الجبال ويزحزحها ، وما دمنا رجالا نؤمن بأن كرامة الامة من كرامة أفرادها ، ونعمل بمقتضى هذا الايمان ..

ان ذلك مدد بسيط يأتى لاسرائيل ، بجوار ما تسلطه هذه القوة الجبارة — التى تمد اسرائيل — على شعب فيتنام من أدوات الفتك والتدمير .. ومع ذلك فنحن نعرف كيف قابل هذا الشعب القوى — وهو لا يزيد فى عدده عن خمسة عشر مليونا من النفوس — هذه القوى الجبارة .. على مدى السنوات التى مرت بها ..
لقد بلغ عدد ضحايا الغارات الجوية من ابناء هذا الشعب الصغير حتى الشهر الماضى ، أربعمائة الف قتيل حسب احصاء الخبراء الامريكان ..

نعم .. أربعمائة ألف قتيل .. كل قتيل وراءه أسرة بل أسر تتفتت أكبادها عليه .. وكل قتيل كان له عمل يؤديه .. وذلك عدا ضحايا الغـارات البرية وقصف المدفعية الخ ..

فهل رأينا هؤلاء قد ضعفوا او خارت لهم عزيمة ؟ أو لان لهم جانب ، أمام هذه القوة العاتية ، وأمام الضحايا الكثيرة منهم ؟!

لقد أسقطوا من الطائرات المغيرة حسب آخر احصاء أيضا (٣٠٣٧) طائرة ، وهم فى كل وقت يقضون مضاجع المغيرين المدلين بقوتهم ، ويبيدون الكثيرين من جيوشهم ..

فاذا كان خمسة عشر مليونا يقفون هذا الموقف الصامد أمام القوة الاصيلة الجبارة التى تمد اسرائيل بشىء من الطائرات او الاسلحة الاخرى .. فهل ترانا — ونحن حسب التعداد مائة مليون وأكثر — هل ترانا نفزع أو يخيفنا مثل هذا المدد ؟!

ان الجبان جبان يخاف حتى من العصا بل من شبحها ..
والشجاع شجاع لا يخشى شيئا ولو كان الموت .
والمهم الايمان .. الايمان الذى يملأ القلوب ، ويسيطر على الانسان . والذى تهون أمامه كل قوة بل تزيده قوة العدو ايمانا بحقه وتغريه بعدوه وسيان لديه يموت أو يرجع لأهله ..

« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » .

هؤلاء هم أسلافنا .. ونحن أولادهم .. فهل نحسن الاسوة بهم ؟

□□□

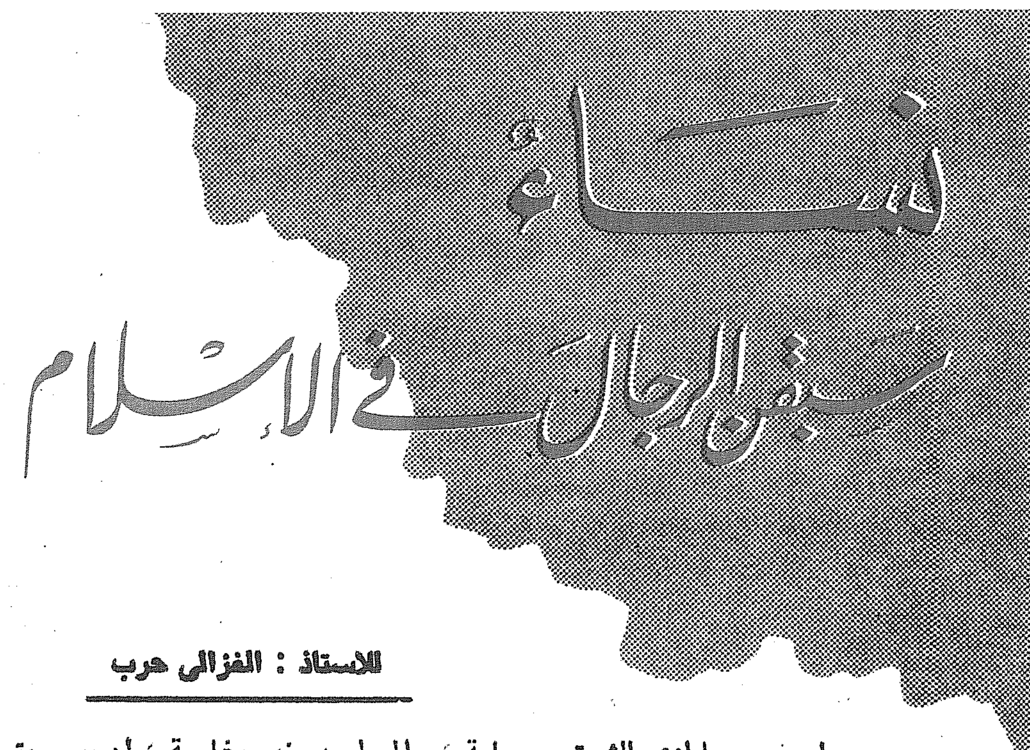
بدون تعليق :

جاء فى عريضة السادة رؤساء الطوائف المسيحية فى سوريا الى رئيس الدولة بمناسبة المشكلة التى قامت حول مدارسهم الخاصة ، وتمسك الحكومة بضرورة خضوعها لمناهج وزارة التربية واشرافها التام ما يأتى :

« ان اعتقادنا الراسخ هو أن المدرسة هى جزء جوهرى من كياننا الدينى ، وقد أثبت التاريخ منذ أول المسيحية الى اليوم أنه قلما قامت كنيسة دون أن تقوم الى جانبها مدرسة تساعدها على ترسيخ العقيدة الدينية بحيث أن المدرسة قد أصبحت فى اعتبار الكنيسة جزءا لا يتجزأ منها » !!

شكرا

أصدقاؤنا الذين تفضلوا بارسال تهانيهم وتمنياتهم الطيبة بمناسبة عيد الفطر المبارك نسجل لهم هنا خالص الشكر ، ونرجو من الله العلى القدير أن نتبادل التهانى جميعا بعيد النصر على أعدائنا وتحقيق ما نرجوه من العزة والحرية ووحدة الكلمة .



للاستاذ : الغزالي حرب

ليس عجيبا لدى الشرقيين بعامة ، والمسلمين منهم بخاصة ، أن يسبق الرجل المرأة ، فذلك أمر طبيعي ، وما جاء على أصله لا يسأل عن علته — كما يقولون — وانما العجب العاجب ، أن تسبق المرأة الرجل وتفوقه في ناحية من النواحي ، التى هي مظنة اسبقية الرجال . .

ومقالنا هذا مقصور على ما تيسر من أمثلة تاريخية اسلامية لأسبقية بعض النساء في العصر الاسلامى الأول :

١ — اما اسبقية المراة الى الاسلام : فقد مثلتها السيدة خديجة بنت خويلد التي شهد لها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بالأسبقية الى الاسلام والايمان ، قائلا في معرض الوفاء لها بعد انتقالها الى جوار الله « آمنت بى اذ كفر بي الناس ، وواستني بما لها اذ منعنى الناس » وهكذا اقر لها الرسول في هذه الشهادة المحمدية بالأسبقية الى الاسلام اعتناقا وايمانا ، وسلوكا وعملا ، فكانت بذلك المثل الأعلى ، والاسوة الحسنة ، التى استنارت بها الآنسات والسيدات الفضليات السباقات :

١ — أسماء بنت أبي بكر الصديق التي سبقت الى الاسلام جميع اخوتها الذكور ، وجدها أبا قحافة . .

٢ — وفاطمة بنت الخطاب التى سبقت جميع أهلها حتى عمر بن الخطاب الذى كانت هي من الأسباب المباشرة لاسلامه . .

٣ — وسودة بنت زمعة العامرية التى سبقت معظم قومها .

٤ — وأم الفضل لبابة بنت الحارث التى سبقت أهلها ، كما سبقت زوجها العباس بن عبد المطلب على الرغم من أنها لا تمت الى رسول الله بصلة القرابة الوشيجة كزوجها ، وحسبها صلة القربة من الله ورسوله ، وفي التفرقة بين

القربة والقرابة ، قال عمر بن الخطاب كلمته الخالدة (.. القرابة لحم ودم ، والقربة نفس وروح) .

٥ — وأسماء بنت عميس التي سبقت معظم أهلها ، وكانت جديرة بشرف زوجيتها من جعفر بن أبي طالب طيار الشهداء الأبطال ..

٦ — وأم الخير التي هي أم أبي بكر الصديق ، وقد سبقت زوجها أبا قحافة الذي لم يسلم الا عام الفتح . وشتان ما بين ايمانها وايمانه ..

٧ — وأم كلثوم بنت عقبة التي سبقت أهلها واباها .

٨ — وأم حبيبة بنت أبي سفيان التي سبقت زوجها واباها واخوتها ، ومنهم معاوية بن أبي سفيان أحد كتاب الوحي لرسول الله ..

٩ — وأميمة بنت بشر الأنصارية التي سبقت زوجها حسان بن الدحداح .

١٠ — وأم سليم سهلة بنت ملحان التي سبقت اهلها وزوجها مالك بن النضير الذي بقي على كفره حتى قتل بالشام ، تاركا لها صغيرها أنس بن مالك فترملت بعده قائلة : لا اتزوج حتى يكبر ابني انس ويجلس مجلس الرجال ويأمرني .. ولما بلغ انس مبلغ الشباب تقدم لخطبة امه ابو طلحة زيد الذي كان مشركا حينئذاك فقالت له : كيف تعبد حجرا لا يضرك ولا ينفعك ؟ لا ارضى بك زوجا حتى تسلم ، ولا أريد منك صداقا غير الاسلام .. وقد كان ..

١١ — والسيدة سبيعة بنت الحارث القرشية التي حدثنا عنها صاحب « الاصابة » في الجزء الرابع بأنها أول امرأة أسلمت لله عقب عقد معاهدة الحديبية بين الرسول وقريش ، دون أن تخشى جبروت قومها ، أو عدوان قريش ، ثم هاجرت الى رسول الله حيث امتحن ايمانها فنجحت في الامتحان نجاحا باهرا سجله وحي السماء بقوله في السورة التي سميت بصفتها (الممتحنة) (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن) ورد الرسول على زوجها المشرك المتمسك بشركه مهر مثلها ، فتزوجها فاروق الاسلام عمر ..

ب — وأما اسبقية المرأة للرجل في الايمان بالله ، والثبات عليه حتى الرمق الأخير .

فنتقدم بين يديها بأن علماء السيرة والتاريخ ، يكادون يجمعون على أن جميع المستضعفين من الرجال حاشا بلال بن رباح ، قد نزلوا على حكم الضرورة ، ولوثوا السنتهم بكلمة الكفر ظاهرا ، دون أن يشرحوا بالكفر صدرا ، على حين أن جميع المستضعفات من النساء او معظمهن ، أبين في بسالة رائعة أن يترخصن في عقيدتهن ، فينزلن على حكم الضرورة ، وآثرن العزيمة على الرخصة ، واستعذبن العذاب ، واستسهلن الصعاب ، واحتملن من الشدائد والأهوال ، ما ناءت به شم الجبال وعزائم الرجال ..

١ — هذه سمية بنت خباط ، عرضوا عليها أن تلفظ بكلمة الكفر ولو ظاهرا — كما صنع ابنها عمار بن ياسر مرغما — ولكنها أبت — بالرغم من مضاعفة العذاب الشديد لها — الا أن تزداد ايمانا على ايمان ، مما دفع أبا جهل ، الى اغلاظ القول لها ، وطعنها بحربة في أخطر واعف موضع من جسمها الطاهر .. فراحت أول شهيدة في الاسلام ، كما حقق ذلك كثير من علماء الاسلام ..

٢ — وهذه لبينة جارية بني مؤمل بن حبيب بن كعب ، كان عمر بن الخطاب نفسه يعذبها في جاهليته أشد العذاب ، ولا يريحها من العذاب الا سآمة ومللا — كما اعترف هو بذلك — واخيرا اشتراها أبو بكر الصديق ، ثم أعتقها لوجه الله ، فصارت تنعم بالحرية والكرامة والاسلام ..

٣ ـ وهذه « زنيرة » جارية عمر بن الخطاب ، الذى عذبها فى الجاهلية ، حتى فقدت نور بصرها وحسبها نور البصيرة هاديا الى سواء السبيل ..

٤ ـ وهذه غزية بنت جابر بن حكيم القرشية العامرية الشهيرة بأم شريك ، التى نشأت فى بنى عامر بن لؤى قريبا من مكة ، ولما تزوجت من أبى العسكر الدوسى ، انتقل بها الى مكة قريبا من رسول الله ، فسبقت قومها جميعا الى الاسلام ، ثم وهبت نفسها لرسول الله ، فشهد لها القرآن قائلا فيها « وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى .. » وقد ثبتت هـذه المراة المؤمنة على ايمانها القوى الراسخ ، غير عابئة بما لاقته من اضطهاد وتعذيب وحرمان من الطعام والشراب ـ كما قال ابن عباس ـ فلا عجب أن بهرت بايمانها وثباتها من كانوا يعذبونها ويضطهدونها ، فاذا هم يسـلمون على يديها لله رب العالمين ـ كما حدثنا بذلك ابن حجر فى الجزء الثامن من (الاصابة) ..

٥ ـ وهذه أم حبيبة بنت ابى سفيان ، هاجرت الى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش ، الذى ارتد فى هجرته عن الاسلام الى النصرانية ، فقاطعته وغاضبته معتصمة بدينها ، وفية لعقيدتها ، فى دار غربتها ، حتى اختارها رسول الله زوجا له وصارت من أمهات المؤمنين والمؤمنات .. !!

ج ـ واما اسبقية المراة الى الهجرة ، فقد شهد به رسول الله نفسه ، حينما جاءته أسماء بنت عميس قائلة له ـ وهى احدى المهاجرات السابقات الى الحبشة ـ يا رسول الله ، ان رجالا يفخرون علينا ، ويزعمون اننا لسنا من المهاجرين الأولين السابقين .. تعنى بذلك قول عمر بن الخطاب لها مازحا : يا حبشية .. سبقناكم بالهجرة الى المدينة .. فقال الرسول لأسماء . بل لكم أنتم أهل السفينة هجرتان : هاجرتم الى أرض الحبشة ، ونحن مرهنون بمكة ، ثم هاجرتم بعد ذلك الىَّ ..

وعقب معاهدة الحديبية التى كانت فى السنة السادسة من الهجرة ، سـبقت أم كلثوم بنت عقبة قومها جميعا الى الاسلام بمكة ، ومبايعة الرسول قبل عودته الى المدينة ، ثم سبقتهم الى الهجرة من مكة الى المدينة ماشية على قدميها ، وبصحبتها رجل عف أمين من خزاعة .. فاستحقت بذلك شرف الانخراط فى سلك المؤمنات المهاجرات الممتحنات اللاتى نزلت فيهن سورة الممتحنة كما مرت الاشارة الى ذلك آنفا فى معرض الحديث عن السيدة سبيعة بنت الحارث القرشية ..

وبلغ عدد المهاجرات السابقات الى الحبشة فى الهجرتين اثنتين وعشرين مهاجرة ، ركبن البحر للمرة الاولى فى تاريخ المراة المسلمة ، بل فى تاريخ المراة العربية ـ فيما نعلم ـ واليهن يرجع الفضل الأول فى نشر الدعوة الاسلامية بالحبشة .. كما يرجع الفضل ـ فيما يرجع ـ الى السيدتين المهاجرتين الى المدينة نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو ، فى تهيئة الجو لاستقبال الرسول بالمدينة فى حفاوة بالغة يفيض بها النشيد الحفى المحبوب الذى مطلعه :

طلع البـدر علينـا من ثنيـات الوداع

وكما سبقت المراة الى الهجرة ، سبقت الرجل الى الاخلاص فى الهجرة ، ممثلة فى الصحابية المهاجرة السيدة ام قيس التى سبقت خطيبها المسلم الى الهجرة حبا لله ورسوله ، وبقى خطيبها بمكة ، ثم اضطر الى الهجرة رغبة فى رضاء هذه السيدة المهاجرة ، حتى يتزوج منها .. فلا عجب أن عرف هذا الرجل المهاجر فى التاريخ الاسلامى بلقب (مهاجر ام قيس) ، وفى الموازنة بين

هجرة أم قيس في اخلاصها ، وبين هجرة زوجها في ريائه يقول الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره عن عمر بن الخطاب « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » وشتان ما بين الهجرتين ..

د ـ وأما النساء اللائى تفوقن على كثير من الرجال فى ميدان الوغى فاشهرهن : عمرة بنت علقمة الحارثية . وصفية بنت عبد المطلب . ونسيبة بنت كعب الشهيرة بأم عمارة المازنية ، وأم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وغزالة الخارجية ..

١ ـ **أما عمرة الحارثية** ، فقد جبن رجال قومها فى غزوة أحد عن رفع لوائهم الذى أسقطه المسلمون ، فتقدمت هى ورفعته غير هيابة ولا وجلة ، وتحت لوائها قاتل الرجال مستبسلين حتى انتصروا على المسلمين انفسهم ، وفى لواء هذه المراة وشجاعتها قال حسان بن ثابت بيته المعروف :

ولولا لواء الحارثية أصبحوا ... يباعون فى الأسواق بالثمن البخس

٢ ـ **وأما صفية بنت عبد المطلب** ، فقد جمعها هى وحسان بن ثابت حصن حربى يسمونه (حصن فارع) أو (حصن بنى حارثة) فى غزوة الخندق ، ولما شاهدت يهوديا يحوم حول الحصن ، توجست منه خوفا ، فأوعزت الى حسان أن ينزل اليه ليقتله ، ويكفى المسلمين شره ، ولكن حسان بن ثابت لم ينزل له قائلا لها : لقد علمت يا بنت عبد المطلب أنى لست بصاحب هذا .. فما كان منها الا أن نزلت هى اليه ، حيث قضت عليه بضربة من عمود .. فكان عمود صفية خيرا من أشعار حسان ، ولسان حسان فى مثل هذا الميدان الرهيب ..

٣ ـ **وأما نسيبة بنت كعب** أو أم عمارة المازنية ، فقد فاقت بشجاعتها كثيرا من رجال قومها بنى النجار وغيرهم فى غزوة احد التى ثبتت فيها حول رسول الله ، مدافعة عنه فى ثبات رائع عز على كثير من الرجال . حتى قال فيها الرسول « ما التفت يمينا ولا شمالا الا رأيت نسيبة تقاتل دونى » .. وقد أصيبت ثلاث عشرة اصابة فى هذه الغزوة الرهيبة ، التى انبثقت فيها دماؤها الطاهرة من مواضع متفرقة فى جسدها ؛ فقال الرسول لابنها محييا مباركا : « يا حبيب .. أمك أمك .. اعصب جرحها .. بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من فلان وفلان » ..

٤ ـ **وأما أم الفضل زوج العباس** ، فكان من حديثها أنها شاهدت أبا لهب الذى تخلف عن غزوة بدر هائجا كالكلب المسعور يعض من يصادفه ؛ حينما بلغه انتصار المسلمين فى تلك الغزوة المشهورة ، ولم يكد أبو لهب يرى أبا رافع الصحابى الجليل منبسط الأسارير ، منشرح الصدر بهذا النصر المبين ، حتى طرحه أرضا فى ضراوة وعنف ، وأخذ يضربه بشدة بالغة ، محاولا القضاء عليه والفتك به ، دون أن يجرؤ أحد على الاقتراب منه ، الا ام الفضل الباسلة ، التى عاجلته بضربة قوية من عمود صلب كانت تحمله فوق أم رأسه ، فهوى مصابا باغماء شديد الزمه الفراش حتى هوى به الى قبره آسفا غير مأسوف عليه .. وهكذا أراح الله الاسلام والمسلمين من الد أعدائهم على يدى أم الفضل .. وان فضلها لفضل عظيم ..

ه — **وأما غزالة الخارجية زوج شبيب بن يزيد** ، فقد تفوقت على كثير من فرسان الحجاج بن يوسف الثقفي ، بل تحدت الحجاج نفسه أن ينازلها ، فأبى مشفقا على نفسه من بطولتها الفذة ، وفي ذلك يقول عمران بن حطان الخارجي أبياته المعروفة ، التي يهجو بها الحجاج ، ويعايره بجبنه أم شجاعة غزالة :

أسـد علي وفي الحـروب نعامة فتخاء تنفر من صـفير الصـافر
هـلا برزت الى غـزالة في الوغى بل كان قلبك في جنـاحي طائر

وظلت غزالة هذه شبحا رهيبا ترتعد له فرائص الحجاج ورجاله ، وتقض مضجع الدولة الأموية ، حتى قتلت غيلة وغدرا في معركة الكوفة ، بين طعن القنا وخفق البنود ..

ه — **وأما تفوق المرأة على الرجل في المواقف العاطفية الخطيرة** فحسبنا من أمثلته الاسلامية الرائعة ما يأتي :

١ — هذه السيدة حمنة بنت جحش ، تفجع دفعة واحدة في أعز الناس عليها أخيها عبد الله .. وخالها حمزة سيد الشهداء .. وزوجها مصعب ابن عمير ، فلا تزيد عن قولها في ايمان ويقين . انا لله وانا اليه راجعون ..

٢ — وهذه أخت الشهيد الاسلامي العظيم . انس بن النضر ، حينما وقفت أمام جثته التي مثل بها المشركون شر تمثيل ، ولم تعرفه الا باصبع من أصابعه لم تزد هي الأخرى عن الاسترجاع والاحتساب ، في هذا الموقف الرهيب ، الذي تطيش فيه العقول ..

٣ — وهذه أم سليم الأنصارية ، يختار الله ولدها الوحيد العزيز أبا عمير ، بعد مرض أقض مضجع والديه ، وكان زوجها أبو طلحة غائبا ، فقامت الى فلذة كبدها الفقيد ، حيث غسـلته وكفنته وغطته في ناحية من البيت ، ثم هيأت لزوجها وأصحابه ما تيسر من الطعام والشراب عندما عاد ، ولما سألها عن ابنه المريض . كيف حاله ؟ فأجابت جوابها الرائع الحكيم . هو أسكن مما كان .. وما كانت الأم المؤمنة ، والزوج الصالحة تعني بالسكينة الا سكينة الموت والأبد ولكنها لم تفاجئه بالكلمة الصريحة واختارت هذا الجواب المحتمل للشفاء حتى حسبها زوجها تريد سكينة الشفاء من الداء .. فاطمأن ..

وبعد انصراف أصحابه الى النوم طاعمين مرتوين .. قام هو الى فراشه ، وقد أصلحت له زوجه من أمرها .. وفي جنح الظلام وهدأة الليـل ، وظلام السكينة ، والألفة بين الزوجين ، سألت أم سليم زوجها أبا طلحة في هدوء : ألم تر الى آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها ، فلما طلبت اليهم شق عليهم ؟

قال أبو طلحة : ما أنصفوا .. أليس لصاحب الوديعة أن يسترد وديعته ؟ وهنا انتهزت أم سليم الفرصة قائلة له : فان ابنك أبا عمير ، كان عارية من الله ، فقبضـه الله اليه !! فانتفض زوجها مذعورا من مفاجأة زوجه ، التي فاقته في ايمانها ، وتسليمها لأمر الله ، وراح شاكيا الى رسـول الله ما كان منها ، فحيا فيها الرسول ايمانها القوى ، وثباتها الرائع ، وصبرها الجميل ، داعيا لهم بالبركة والخير — كما روى البخاري وغيره — ..

وقد أضربنا صفحا عن قصة الخنسـاء مع أولادها الاربعة في معركة القادسية لأن من رواة هذه القصة الحلوة المشوقة محمد بن الحسن المخزومي المعروف بابن زبالة ، وهو أحد الوضاعين المتروكين كما نص على ذلك ابن حجر في الاصابة ج ٨ ص ٦٧ وان انطلت هذه القصة الوعظية المزعومة على كثير من المؤلفين والمتحدثين قديما وحديثا .

والعصمة لله وحده ، وسبحان من أحاط بكل شيء علما .



اى سر حائر تلك الحياه ... ضل فى طياتها العقل وتاه
انا فيها غارق فى لجة ... وسط بحر غاب عنى شاطئاه
وسفينى مزقتها صرصر ... وطواها الياس فى جوف المياه
فتعلقت بلوح سابح ... لا أنا ميت ولا ذقت النجاه
وانيسى الرعب يكوى خاطرى ... ورفيقى الهول تدعونى يداه
لا أرى غير ظلام هائج ... كل تمساح به يفغر فاه
والمنى نجم هوى فى برهة ... كيف أحيا بعد ما غاب سناه
اين منى بسمة كانت هنا ... لم تعد تعرفها منى الشفاه

***

هذه الدنيا سراب زائف ... يخدع الناس ولا تدرى مداه
ان يكن غر عيونا برقه ... وتدنت خلفه حر الجباه
وتمادت وتفانت وجرت ... خطوها يلهث فى شوك الفلاه
فانا ارقبها فى حسرة ... أرى موكبها ضلت خطاه

***

هبك يا صاح بلغت المنتهى ... وسلبت النجم أسرار ضياه
وغصبت الدر من أصدافه ... وتربعت على عرش وجاه
وشربت الصفو كأسا مترعا ... ترقص الأفراح من خمر هواه
اترى ما انت فيه مانعا ... عنك « عزرائيل » يجتث الحياه
فابك ايامك واعرف سرها ... ان خلف الورد اشواك الوفاه

***

انا لا اضحك والموت معى ... حيثما سرت يرانى وأراه
بعد ما راح بأمى وأبى ... وأخى فى زهرة العمر طواه

للاستاذ محمد هاشم عبد الدايم
كلية البنات . جامعة عين شمس

ثم عمى وهو راعى أملى
هدنى فى غربتى ناع نعاه
ورفاقى غالهم فى قسوة
والى حين تخطتنى يداه
سرت فى دربى شريدا هائما
أنسج الأوهام من خيط دجاه
واناجيهم ويروى مدمعى
كل قبر شد من قلبى صفاه

* * *

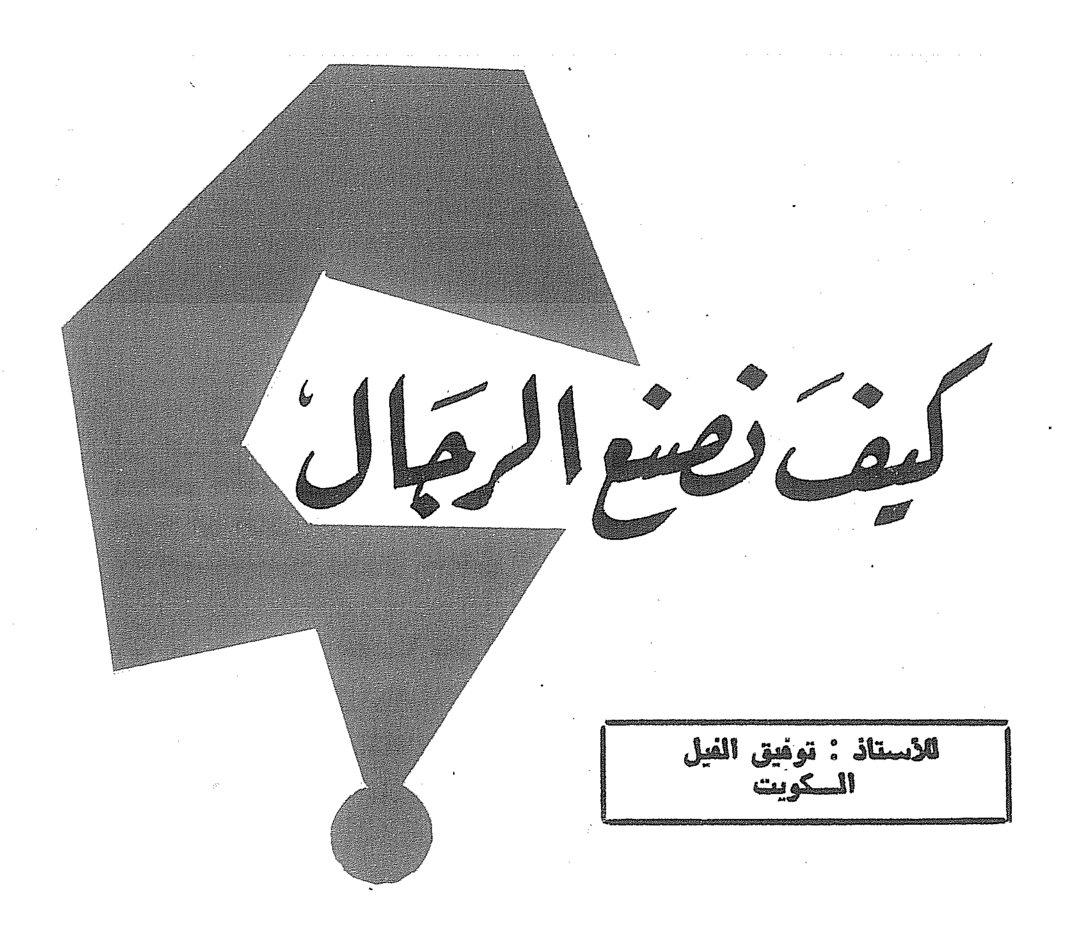
رب جسم كان بضا ناضرا
يلبس الديباج لا يرضى سواه
باسم الآمال وثاب المنى
تعزف البشرى له لحن مناه
صار للدود غذاء طيعا
سالب منه وما رد أذاه
عابث فى مقلتيه مفرغ
ما حوى الراس وبالترب حشاه

* * *

رب هيفاء من الدل ارتوت
يسجد الحسن لها كل صلاه
تخجل الورد بخد هائم
يعبث الشعر فتكويه لظاه
تحسب الدنيا شبابا وهوى
وجمالا ليس تدرى منتهاه
بغتة يخطفها غول الردى
ظامئا لا يرتوى مما اسقاه
زفها للقبر فى رونقها
تحضن الترب وتدميها الصفاه
جيفة قد راح عنها عطرها
اين عشاقك ؟ كل فى اتجاه

* * *

هذه الدنيا فماذا تبتغى
من هوى الرقطاء تستل الحياه
لمسها مثل حرير ناعم
ومن الأنياب سم لا تراه
ان أفراحا وحزنا عبث
حلوها مر وان طاب جناه
أنا لا تطربنى أمجادها
مجدها رقم على سطح مياه
سوف أحياها بقلب ساخر
من قطيع سار يحدوه عماه
لا تقل لى : سر مع الركب وقل
مثل ما قال ، وبارك ما اشتهاه
أنا لا أنضم للركب الذى
تخذ الأطماع والشر هواه
فادع للحب وللخير معى
وازهد الدنيا ففى الزهد نجاه
وغدا نلقى أحباء لنا
فى جنان الخلد ، ان شاء الاله



كيف نصنع الرجال

للأستاذ : توفيق الفيل
الـكويت

النكسة العسكرية التى ألمت بأمتنا فى الخامس من يونيو (حزيران) الماضى .. خلفت فى كل قلب أعمق الجراح ، ذلك أن الامة العربية ، ومن ورائها شعوب العالم الاسلامى كله .. كانت ترى قرب نهاية الظلم الكبير الذى أصاب الامة فى كيانها .. ووقف حائلا دون تحقيق أعز أمانيها . بعد أن استمر هذا الظلم طوال عشرين عاما .. شرد فيها شعب عربى مسلم ، وانتزع منه حقه الطبيعى فى الحياة .. لذلك كان وقع الهزيمة مرا وقاسيا .

ولقد أخذ الكتاب والمعلقون فى شرح وتحليل ما حدث ، واسهبوا فى القول . ولا زالت الصحف فى كل يوم تتخذ من ذلك ، ومن العناوين المثيرة مادة لجذب أنظار القراء . ولست أدرى لماذا تكونت لدى فكرة تختلف عن أكثر ما كتب حول هذا الموضوع .. وان كنت اتفق مع الكثيرين بأن من أسباب النكسة المباشرة أن بعض الاشخاص لم يكونوا على مستوى الامانى القومية ، ولم يستطيعوا أن يرتفعوا الى الاحداث التى يمر بها العالم العربى والاسلامى .. وعدت من فورى الى كتاب الله والى تاريخ الاسلام أنظر اليهما نظرة جديدة فاحصة .لعلى أستطيع أن أصل الى السبب الذى جعل المسلمين وهم قلة يرمون الكفار فى القليب يوم بدر ، ويهيلون عليهم تراب الهزيمة والنسيان .. والحقيقة اننى وجدت الطريق الواضح البين .. فليس كل رجل يصلح للقتال .. أو يعتمد عليه فيه . بل ان القرآن الكريم حدد هؤلاء الذين تناط بهم مسئولية من أشرف

المسئوليات وأرفعها فقال : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة .. ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » تلك اذن أوصافهم .. باعوا دنياهم بآخرتهم .. فى سبيل مبدأ . هو رفع راية الحق واعلاء لوائه .. وهم يذهبون الى ميدان القتال وهم على ادراك تام بأنهم مقبلون على صفقة رابحة فى كل صورة من صورها ..

ولكن كيف يتم اعداد هؤلاء الناس الذين يجدون الحياة رخيصة فى سبيل العقيدة والمبدأ ؟

ان نظرة الى تاريخنا المجيد تجعلنا نجد أمثلة حية للبطولة ، ونماذج فريدة فى التضحية والفداء . وقد تحملوا فى وقت عصيب مسئولية الدعوة وهم قلة قليلة . وهبت عليهم أنواء وعواصف ، ولكنها لم تنل منهم شيئا .. وتصدوا للحوادث ، وهم لا يملكون فى حياتهم سوى شموخ المسلم فى عظمته وبطولته . وصغرت لهم عقيدتهم كل شىء أمامها ، فصنعوا سيرة عطرة ، وبطولة نادرة .. وركعت الحياة تحت أقدامهم تكبر فيهم الجرأة والاقدام .

لقد أعلنوها ثورة عاتية على الوثنية الباغية . والقيصرية المتجبرة والكسروية الطاغية .. ووراء كل منها ما وراءها من الاتباع والانصار . وقف محمد صلى الله عليه وسلم أمام قريش وتحدى سفهها وطيش أفكارها . وأمام اليهود ، وكشف غدرهم وخيانتهم .. وأمام كل أحزاب الشرك واتباعه .. ومن حول الرسول العظيم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . وجاهدوا الجهاد الحق فما وهنت لهم عزيمة ، ولا ضعفت لهم قوة .. لقد كانوا لا شىء فى مجتمع مكة .. لا مكانة ، ولا جاه ، ولا سلطان .. فأصبحوا بعظمة الاسلام كل شىء .. وأى انسان يستطيع ان يكون فى مكان خباب .. هذا الذى كان يصنع السيوف فى الجاهلية . ويلمس نور الاسلام شغاف قلبه ، فيعلن كلمة التوحيد .. واذا العتاة الطغاة يسلطون عليه النار يكوون بها جنبه وجبهته .. فيغيب عن الوعى . وما أن يفيق حتى يضمد جروحه ، انتظارا لعذاب جديد يقول الشعبى : « لقد صبر خباب ، ولم تلن له بين يدى الكفار قناة ، فجعلوا يلصقون ظهره العارى بالرضف (1) حتى ذهب لحمه » .

وعمار بن ياسر ، لم يكن يقل فى قوة ايمانه وشموخه عن ذلك .. فقد وهب هو واسرته الانسانية كلها من أولها الى آخرها شرفا لا ينفد ، وكرامة لا ينتهى جلالها وبهاؤها . ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر على آل ياسر وهم مقيدون بالاغلال ، وسفهاء القوم يجرونهم على وجوههم ، وسط حر الهجير ، والمسلمون فى ضعف لا يستطيعون منه رد الأذى عنهم . فلا يملك رسول الله سوى أن يقول : صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة .. ولقد كان ذكر الجنة كاف وحده لأن تحلق الروح فى عوالم عليا ، ولتفعل قريش بالجسد ما تريد .. حقيقة فدح العذاب ظهر عمار بن ياسر ، ومزق قواه ، ولكنه لم يكن ليفدح روحه المؤمنة . مهما اشتد وقسا . يقول عمرو بن الحكم : (كان عمار يعذب حتى لا يدرى ما يقول) .

ولقد انتهزت قريش فرصة غياب وعى عمار . وقالت له اذكر آلهتنا بخير ، واخذوا يقولون وهو يردد وراءهم . فلما افاق تذكر ما حدث فطار صوابه ، ورأى ان ما فعل لا شىء يغفره أو يكفر عنه .. وعذبه شعوره بالاثم والخطيئة

---

(1) الرضف ـ بسكون الضاد ـ الحجارة المحماة .

أضعاف ما عذبته قريش .. وشتان بين هذا العذاب وذاك .. ولولا أن تدارك الوحي عمارا لهلك . فقد لقي الرسول الحاني صاحبه عمار ووجده يبكي وينتحب . فمسح على راسه ، وقال : أخذك الكفار فغطوك بالماء . فقلت كذا وكذا ؟ أجاب عمار وهو ينتحب : نعم يا رسول .. فقال الرسول « ان عادوا ، فقل لهم مثل قولك هذا » ثم تلا عليه ما نزل فى شأنه من القرآن « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » عندئذ تهلل وجه عمار .. وعلاه البشر . وعادت اليه السكينة والاطمئنان .. وروحه كما هى لم تصلها الهزيمة ..

لقد مر هؤلاء الابطال بفترات عصيبة كانت اختبارا لمعادنهم ، فاذا هي معادن أصيلة لا زيف فيها ولا دخن .. ولا بد لمن كان فى عظمتهم أن يصل الى نهاية الطريق .. ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام — وقد صنعهم على يديه .. وأدبهم بأدبه .. وأعدهم الاعداد المطلوب للأيام العظام — واثقا من نصر الله لهم .. وما هى الا فترة من الزمن تمر .. حتى يصبح هؤلاء سيوفا تحصد رؤوس الشرك ، وهى التى تحكمت فيهم ، وعذبتهم ، وسامتهم الخسف والهوان ، ولم يكن ذلك لأحقاد فى نفوسهم ، فالنفوس الطاهرة لا تحمل الحقد ، ولا تعرف الضغن ، ولكنهم يريدون أن ينصروا دين الله ، ولا شيء سوى أن تعلو راية الحق .. هكذا علمهم المربى العظيم .. وهكذا ضرب لهم الامثلة العملية على ذلك ..

ألم يقبل بين المسلمين يوم فتح مكة هند بنت عتبة زوج أبى سفيان ، وقبل منها الرسول اسلامها وعفا عنها ؟ وهي التى أخذت كبد عمه حمزة فى غزوة أحد ، ووضعتها فى فمها ، وأخذت تمضغها ، ولو استطاعت أن تبتلعها لما ترددت ؟

وحين أقبلت الدنيا على المسلمين .. وامتدت فتوحهم شرقا وغربا .. وملأ المال خزائنهم . وللمال ما له من سحر وسيطرة على النفوس . لم يؤثر كل ذلك على نفوسهم لأنه لا أثر للمال على قلوبهم ولا سلطان .

ولنسر مع الحوادث وحدها تنشر نورها على كل الارجاء .. ولنضرب الامثال بخباب بن الارت ، وعمار بن ياسر ، حيث جعلناهما النموذج فى هذا الحديث ..

أما أول الرجلين فتحضره الوفاة فيقول له من حوله « يا أبا عبد الله أبشر ، فانك ملاق اخوانك غدا » .. فيجيبهم وهو يبكى (أما انه ليس بى جزع من لقاء الله .. ولكنكم ذكرتمونى أقواما واخوانا ، مضوا باجورهم كلها ، لم ينالوا من الدنيا شيئا ، وانا بقينا بعدهم حتى نلنا من الدنيا ما لم نجد له موضعا الا التراب) واشار الى داره المتواضعة التى بناها ، ثم اشار الى المكان الذى فيه ماله وقال : (والله ما شددت عليها من خيط ، ولا منعتها من سائل . ثم نظر الى كفنه . وكأنه رآه كثيرا عليه .. فقال (انظروا . هذا كفنى . لكن حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يوجد له كفن يوم استشهد الا بردة ملحاء ، اذا جعلت على راسه . قلصت عن قدميه ، واذا جعلت على قدميه قلصت عن راسه »

وأما عمار فقد تولى أمر الكوفة . ويقول عنه أحد معاصريه (رأيت عمار ابن ياسر ، وهو أمير الكوفة ، يشترى من قثائها ، ثم يربطها بحبل ويحملها فوق ظهره ، ويمضى بها الى داره) ..

نعم . انهم رجال صنعهم الرسول !

والامثلة كثيرة . لا تتحملها مثل هذه الصفحات .. وقد سقت منها هذا الذى سقت لأرسم صورة كاملة الابعاد . أو بالاحرى ، حاولت بها أن ارسم صورة لنماذج من الرجال .. أمتنا فى محنتها القاسية فى حاجة الى أمثالهم .

كيف صنعهم ؟

ولنسأل أنفسنا كيف صنع محمد بن عبد الله هؤلاء الرجال ؟ كيف استطاع أن يخلق فى نفوس العبيد والضعفاء والمهملين ، قوة تسخر من تعذيب قريش ، وصلفها وغرورها ؟

كيف تحول ضعف هؤلاء الى قوة ترهب أعداء الاســلام ومناوئيه ؟ كيف جعلهم لا يأبهون بالنار ، وهى تكوى الجباه والجنوب ؟

كيف استطاع محمد بن عبد الله أن ينزع من قريش ميراث أجيال ، ويجعلهم يتخلون عن دين قالوا له عنه ذات يوم « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

كيف جعل السادة والعظماء يجدون لذة وسعادة فى مجالسة عمار وصهيب ومن على شاكلتهم ، وهم الذين ترددوا فى دخول الاسلام .. بل حاربوه لانه يسوى بينهم وبين الارقاء ؟ لقد كانوا يستنكفون من مجالستهم او التحدث اليهم .. حتى لقد جاءوا فى مساومة يعرضون اسلامهم على أن يجعل لهم الرسول يوما حتى لا يجلسوا مع هؤلاء .. ولكن القرآن الكريم رد عليهم محاولتهم وخاطب النبى محذرا : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء ، وما من حسابك عليهم من شىء ، فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ؟ » بل ان هؤلاء الملأ بهم الصلف فاستكبروا أن ينزل القرآن على رسول الله لأنه ليس من الاغنياء .. فقالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » فكيف تحول هؤلاء عن طبيعتهم وموروثهم ؟

والمجتمع العربى .. هذا المجتمع المفكك .. المتقاتل .. المنغمس فى الشهوات .. الغارق فى الترف والتفاخر .. هذا المجتمع الذى ينام على خوف .. ويستيقظ على قتال .. المجتمع الجاهل الجهول .. كيف صار مجتمعا فاضلا .. ينشر فضله لاجيال وأجيال ؟

كيف ذابت الكيانات القبلية المتناحرة فى كيان واحد .. لافرقة ولا خلاف .. أصبح أمنا وسلاما بعضهم لبعض .. وحربا على من يقف فى سبيله او يتحدى مده العظيم (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) .

هذا هو السبيل

لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم ساحرا ، فتمس يده القوم فتغير ما بهم بين عشية وضحاها (وما علمناه السحر وما ينبغى له) وقد كان الرسول يدرك من غير شك ثقل المهمة الملقاة على كاهله .. ووجد أن القرآن وحده بما اشتمل عليه من مثل وأخلاق يتكفل بهذا العبء الثقيل . ولهذا جمع الرسول المعظم المسلمين فى حجة الوداع ، وقال لهم : « لقد تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا بعدى . كتاب الله .. الا هل بلغت اللهم فاشهد .. وليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

اذن هذا هو الاساس .. واذا تمكن من قلوب المسلمين ، فانهم لا شك سيجدون فيه كل شيء يهمهم فى دينهم أو فى دنياهم .

ثم تأتى بعد ذلك السنة قولا وعملا شارحة ومبينــة لهذا الدستور القويم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولقد وضع القرآن مبادىء الوحدة بين المسلمين موضع التنفيــذ حين قال : « انما المؤمنون اخوة » وحين قال : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . وترجم النبى صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ عمليــا .. فقد جمع أهله وقال لهم : « لا يأتينى الناس بأعمالهم ، وتأتونى بأنسابكم . يا فاطمة بنت محمد انى لا اغنى عنك من الله شيئا » .

ثم يقيم الرسول المساواة المطلقة بين المسلمين .. على اختلاف طبقاتهم ومنزلتهم الاجتماعية .. فذات يوم يأتيه أسامة بن زيد يتشفع لرجل سرق .. فيستنكر الرسول ذلك من اسامة ، ويقول له اتشفع فى حد من حدود الله ! والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ويغضب الرسول من خالد بن الوليد لانه عاير عمار بن ياسر . فيقول الرسول العظيم لخالد ، وهو القــائد المظفر فى كل معاركه « من عادى عمارا عاداه الله ، ومن ابغض عمارا ابغضه الله » . وما لنا نذهب بعيدا والرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو المصطفى من قبل ربه يقول لرجل تهيب لقــاءه : « وأنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » يا لها من عظمة لا تدانيها عظمة .. هل يصبح عند القوم مجال للتفاخر بأحسابهم وانسابهم ؟ كلا وألف كلا ..

هل من شك فى أن صانع الرجال ومعلمهم محمد بن عبد الله قد اختط بتوجيه الله وعلى أساس هديه أعظم الطرق وأمثلها ؟ ولئن ذهب الرسول لقد بقى الطريق الذى سلكه فى تربية هؤلاء العظماء ينادى كل انسان « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

كانوا اذا حاربوا اقتحموا الحرب اقتحاما من يبحث عن الموت ، لا من يبحث عن النصر « واذا كانوا أمراء حلبوا شياه اليتامى (١) .. واذا كانوا خلفاء لا تغفوا عيونهم ، يستمعون الى مظالم الناس وشكاياتهم .. ثم يحملون الدقيق على اكتافهم ليوصلوه الى بيوت المسلمين .. ثم لا يشتط بهم الغضب من نقد يوجه اليهم مهمــا كان مصدره وقائله . وان هم أخذوا من بيت المال شيئا لمعاشهم فهو ما يقيم الاود ويحفظ الحياة .. وكثيرا ما فضلوا أن ينــاموا على الطوى ، او يجدلوا من الخوص أوعية يعيشون من أثمانها ..

واذا كانت صناعة الرجال جد شاقة وعسيرة .. فان محمد بن عبد الله وضع بين ايدينا أعظم التجارب ، واخصبها .. وأرشدنا الى النبع الذى صنع به جيلا من الرجال كانوا كما قال عنهم : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ..

فلنعد الى قرآننا وديننا ، ففيهما صلاح أمرنا ، واعادة ما تهدم من بنياننا .. ولنعلم أن ما نجح فيه الاستعمار هو فصلنا عن قيمنا الروحية ، وعزلنا عن هذا التراث الخالد العظيم .. لنعد فى محاولة جادة نصفى فيها الزيف من مجتمعنا وعند ذلك يأتى نصر الله الذى وعد به عباده المؤمنين . فلنعد والعود أحمد .

---

(١) عن كتاب خالد محمد خالد .

الإسلام والتمييز العنصري

الشيخ : احمد العجوز — لبنان

قرر الاسلام مبدأ المساواة بين الناس ، وأعلن أنهم سواسية كأسنان المشط على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، وقضى على النظام العنصرى والأساس الطبقي ، وجعل التفاضل بينهم على درجات التقوى ، والكفاءات العلمية ، وما يقوم به الانسان من أعمال صالحة ، وما يقدمه من خدمات طيبة نافعة .

فجميع الناس في نظر الاسلام اخوان على سواء ، نشاوا من أصل واحد ، من أب واحد ، ومن أم واحدة ، هما آدم وحواء ، فلا تفاضل بينهم في حقيقتهم الانسانية ، فالانسان الأبيض لا يفضل أخاه الأسمر أو الاسود ببياضه ، ولا يمتاز عنه بعنصره ، فلون البشرة ليس من الفوارق بينهما في شيء ما دامت الحقيقة الانسانية واحدة ، فلا تختلف في أفرادها بما يلابسها من أعراض لونية ، واصطباغات اقليمية .

أسباب اختلاف اللون :

ولقد كان اللون واحدا في الأصل في جميع الأفراد ، لا يتفاوت الناس فيه ، وبانتشارهم في أنحاء الأرض وأرجائها ، اثرت فيهم أجواؤها المتباينة ، وطبائعها المختلفة من حرارة ، وبرودة ، وجفاف ، ورطوبة وغذاء ، وماء ، وما يتبع ذلك من صفاء الجو وشفافيته ، وتلبده بالضباب والغيوم واختلاف الهواء باختلاف المناطق ، وتباين الضغط الجوى ، ونحو ذلك فكان التفاعل بين هذه العوامل ، وبين حساسية جلد البدن ، على تقادم العهد الطويل ، ومرور الزمن المديد ، فاكسبه اللون الذى يناسب محيط هذه العوامل ، ومن ثم اختلفت الوان البشرة من البياض الناصع الى الصفرة الى السمرة ، الى الحمرة الى السواد .

ولئن اختلفت بذلك الوانهم ، فان حقيقتهم لم تختلف ، فانها واحدة ومن طينة واحدة ، وذات طبيعة واحدة .

لا تفاضل باللون :

لا تفاضل باللون ، ولا تمايز فيه ، ففضل الانسان انما هو بمفاخره لا بمظاهره ، وبأعماله لا بأمواله ، وباحسانه لا بألوانه ، لذلك قد يفضل الملون بالسمرة أو السواد كثيرا من أخوانه البيض بصلاح دينه ، وكرم خلقه ، وحسن علمه ، وطيب نشأته وسعة علمه ، وصدق خدمته .

وقد يلاقي الانسان الابيض من اخوانه البيض تعبا وعناء ، واضطهادا وايذاء ، وقد يكون أخوه الأسمر ارحم منهم واعطف ، وأرق قلبا والطف .

فذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه أول ظهور الاسلام ، لاقوا من قومهم ومن عشائرهم كثيرا من المقاومة والاضطهاد ، ومن الظلم والايذاء ، ولا ذنب لهم الا ان آمنوا بربهم الذى خلق السموات والأرض ، ولما اشتد بهم الايذاء قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو خرجتم الى ارض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده احد ، وهي ارض صدق ، حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه) . فهاجر اليها عشرة رجال ، وخمس نسوة في السنة الخامسة للنبوة ، فأقاموا فيها آمنين على انفسهم ، بعيدين عن اذى قومهم ، والاحباش هم سمر اللون ، وقد فضلهم الرسول صلى الله عليه وسلم حينذاك لانسانيتهم ، وحسن معاشرتهم ، وعدالتهم ، وما هم عليه من الايمان بالله ووحدانيته ، والخضوع اليه ، ولما اتفقت قريش على مقاطعة بني هاشم ، وبني المطلب ، والتضييق عليهم ، ودخل بنو هاشم ، وبنو المطلب شعب أبي طالب ما عدا أبا لهب ، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم جميع المسلمين أن يهاجروا الى الحبشة ليساعد بعضهم بعضا على الاغتراب . فهاجر أكثرهم ، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلا ، وثماني عشرة امرأة ، ولحق بهم الذين أسلموا من ناحية اليمن . فكان الاحباش السمر خير ملجأ لهم ، واحينا أرسلت قريش وفدا الى ملك الحبشة ، ليرد اليهم هؤلاء المسلمين المهاجرين ، رد الوفد على أعقابه عندما عرف صدق اسلامهم ، وأبقاهم في حمايته ، واحسن معاشرتهم ، وقد وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم وفد حبشي بعد فتح مكة ، فقام يخدمه بنفسه ، فقال له أصحابه : نكفيك . قال : انهم كانوا لأصحابي مكرمين وانني احب ان أكافئهم » .

مقاومة الاسلام للتمييز العنصري :

كان التمييز العنصري عند أكثر الامم ، وكان اكثر ما يسترقون ويستعبدون من الملونين ، فكانوا يعاملونهم أسوأ معاملة ويتخذونهم سلعا تباع وتشرى ، واذا أساء أحدهم عذبوه بالضرب ، أو بقطع الأذن ، أو بجعل النار في فمه ، أو بالقتل ، من غير رأفة ولا رحمة ، ولا يؤاخذ المجرم على اجرامه .

فجاء الاسلام بالخير والرحمة ، والشفقة والرأفة ، والعدالة والمساواة ، واعلن الوحدة الانسانية وتكافؤ جميع أبنائها ، في حقوق الحياة ، وأنكر التمييز العنصري ، وعده جريمة نكراء ، وعامل جميع الناس على اختلاف الوانهم واجناسهم معاملة واحدة ، في التكليف والقضاء ، وفي حقوق الحياة ، وصان حريتهم وكرامتهم ، وراعى حرمتهم ، ومواهبهم الفطرية .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس : ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر

على ابيض ، ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى ، الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ، الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) .

فوجد أولئك الأرقاء المعذبون أن الاسلام الذى هو دين الحق ، هو سبيل النجاة والسعادة ، وهو منطلق الحرية والعدالة ، وهو الصراط السوي الذى يلاقى المؤمن به رضاء الله ، ويفوز بنعيم الدنيا ، وسعادة الآخرة ، فطفقوا يدخلون في دين الله ، مستلذين التعذيب في سبيله ، مؤثرين فيه حياة التقشف والخشونة والفقر والقلة على ما كان عليه أسيادهم من نعمة ورخاء ومتعة .
والرسول صلى الله عليه وسلم يحث كل من يملك أرقاء على حسن معاملتهم ، وعلى عتقهم وتحريرهم ، ويقول : (اخوانكم خولكم (أى خدمكم) جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس) . ويقول : (ايما امرىء مسلم أعتق امرأ مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار) .

ولأبى داود من حديث كعب بن مرة رضى الله عنه : (وأيما امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار) .

وقد مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمكة ، فرأى العبيد وقوفا لا يأكلون مع ساداتهم ، فغضب ، وقال : ما لقوم يستأثرون على خدامهم ؟! .. ثم دعا الخدم ، فأكلوا مع السادة في جفان واحدة .

وقد بلغ من عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبيد السود ، والمحافظة على كرامتهم ، واخوتهم الانسانية أن كان لعبد الله بن رواحة راعية تتعهد غنمه ، وهى عبدة مملوكة له ، فعدا الذئب على واحدة منها فأكلها ، فجاء عبد الله يبحث في الغنم ، فلم يجد الشاة ، فأخبرته الراعية بأمرها ، فلطمها على وجهها ، ثم ندم على ما وقع منه ، وغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بما فعل بجاريته ، فاشتد بالرسول صلى الله عليه وسلم الغضب ، حتى احمر وجهه ، وهاب أصحابه ان يكلموه ، ووقف عبد الله واجما لا يتحرك ، ثم قال عليه الصلاة والسلام عند ذلك : (وما عسى ان تفعل الصبية بالذئب ؟ وما عسى ان تفعل الصبية بالذئب ؟) وما زال يكررها ثم قال : (ان خدمكم اخوانكم جعل الله لكم الولاية عليهم) . فلم يجد عبد الله بن رواحة مخرجا مما وقع فيه الا بعتق جاريته التى لطمها فأعتقها .

وكان قد اختلف في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم مرة أبو ذر الغفارى وبلال ، فاحتد عليه ابو ذر ، وقال له : يا ابن السوداء ، وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم منه ذلك ، فأخذه الغضب الشديد ، وقال (طف الصاع ، طف الصاع (١) ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى ، أو بعمل صالح) . فوضع أبو ذر خده على الأرض ، وقال لبلال : قم فطأ عليه .

المسلم أخ لكل مسلم :

لا يفرق بين المسلم والمسلم لون ، ولا يميزه جنس ، فالمسلم هو هو بجميع الوانه ، وهو أخ لكل مسلم

(١) أي تجاوز الأمر حده .

على اختلاف أجناسه ، في أى زمان ومكان ، له ما لأخيه المسلم من حق وحرية ، ونصر وحماية ، ونصح ومحبة ، ومعونة وولاء ، يساويه في العقيدة والتكليف ، والمثوبة والعقوبة ، والحق والحرية ، والمسئولية والقضاء والكفاءة والعدالة . فالمساواة العامة مبدأ الاسلام ، وميزة المسلم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم) الحديث .

كان عقبة بن عامر الجهنى صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقودها له في الأسفار ، وقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينزل عن دابته ويركبه اياها ، والرسول يمشى على قدميه .

وذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سار الى بيت المقدس كان معه عبده وناقته ، فكانا يتناوبان الركوب على الناقة ، وهو خليفة المسلمين ، ولما وصلا الى بيت المقدس كان غلامه الراكب ، وهو ساع خلفه ، وكان الأمير على بيت المقدس أبو عبيدة بن الجراح ، رأى أبو عبيدة ذلك فخشى أن يحقره الناس ، وهو في بلد من بقايا حكم الرومان ، فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين : أراك تصنع أمرا لا يليق ، فان الأنظار متجهة اليك ، فقال عمر : لم يقل أحد ذلك قبلك ، وقد كنا أذل الناس ، وأحقرهم فأعزنا الله بالاسلام ، ومهما طلبنا العز بغيره أذلنا الله .

رفع الاسلام شأن الأرقاء الملونين :

حظى الأرقاء الملونون في الاسلام بالحرية التامة ، والعزة والكرامة ، ونال بعضهم الرتب الرفيعة .

فذلك بلال بن رباح الحبشى ، فانه كان عبدا مملوكا لأمية بن خلف الجمحى ، يرهقه في أعماله ، ويذله في أشغاله ، ويعذبه لاسلامه ، ولا حيلة له في نجاته ، ولا أمل في هناء حياته ، مر به أبو بكر رضى الله عنه فرآه يعذبه لاسلامه ، فقال : يا أمية : أما تتقى الله في هذا المسكين ؟ حتى متى تعذبه ؟ فقال أمية : أنت الذى أفسدته ، فأنقذه مما ترى . فاشتراه منه ، واعتقه ، ثم صار مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلوات الخمس ، فاعتز بالاسلام ، وسعد به .

وقد قضى الاسلام بأن تصير العبدة المملوكة حرة ، اذا تزوجها سيدها ، وأتت منه بولد ، ويصبح الولد حرا .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لوليته ، وسالم انما هو عبد أسود .

وقد تقلد كثير من العبيد السمر المناصب العالية في الاسلام ، بعد ان حررهم من ذلة العبودية .

فذلك اسامة بن زيد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم أميرا على جيش عظيم ، فيه الكثير من المهاجرين ، والأنصار واجلاء الصحابة .

وذلك كافور الاخشيدى اشتراه الاخشيد من بعض أهالى مصر بثمانية عشر دينارا وحرره ، ولما أعجب بذكائه أخذ يرفع من شأنه ، حتى صار بيده زمام المملكة المصرية التى كانت من أنفس الممالك الاسلامية .

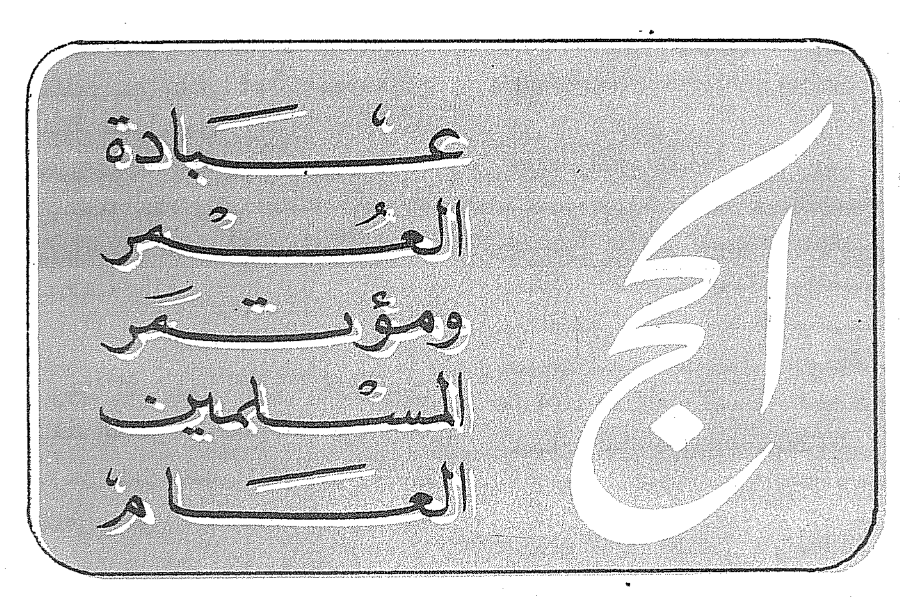
وهذا السلطان المؤيد : كان من الأرقاء السمر ، فاشتراه محمود شاه اليازدى بثمن بخس ، ثم قدمه الى الظاهر برقوق ، فأعجب به ، وبذكائه فحرره ، ثم قلده عدة وظائف في مصر والشام ، الى أن صار سلطانا على مصر ، حتى وافاه الأجل المحتوم ، وقد دامت سلطنته زهاء تسع سنوات ، وهو الذى بنى جامع المؤيد المشهور باسمه في باب المتولى بالقاهرة ووقف عليه أوقافا كثيرة ، ويعد هذا المسجد من أفخم الآثار المصرية الى الآن .

الخلاصة :

والخلاصة أن الاسلام لا ينظر الى لون المسلم وصبغته ، ولا يفرق بين العناصر والأجناس ، ولا ينظر الى الفوارق الاقليمية ، واللغوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من دعا الى عصبية) وانما ينظر الى دين المرء وخلقه ، وعمله الصالح وأدبه ، ويعمل على ايصاله الى اعلى الدرجات ، وأسمى المراتب في الحياة ، ويعنى كثيرا بتحرير المماليك ، وترقية شؤونهم واعزازهم .

وقد بلغت جماعة منها أعلى المناصب في البلاد الاسلامية ، واسسوا دولتهم المعروفة بدولة المماليك ، فنشرت العدالة والطمأنينة بين الناس ، وأنشأت الكثير من المساجد لعبادة الله تعالى ، وساست الأمة سياسة حكيمة رشيدة ، وخدمت البلاد خدمات طيبة .

هذه أعمال الاسلام ، وهذه ثمراته في المملوكين الملونين ، وفي مقاومة العصبية ، والتمييز العنصرى ، فلم يكن بين المسلمين ، ولا في البلاد المفتوحة لهم ، ولا البلاد المجاورة لهم في اى عصر من العصور نزاع عنصرى ، ولا خصام تعصبى ، فى جميع العصور المتلاحقة الى وقتنا هذا ، بل كان بين الجميع حب ووئام ، وتعاون واخاء ، وخدمة وايثار . وذلك بتأثير هداية الاسلام وعدالته ، واصلاحاته ومعاملته ، بينما تراق الدماء البريئة بسبب التمييز العنصرى الجائر في أمريكا ، وجنوب افريقيا وتقوم الاضطرابات فيها لذلك آنا بعد آن ، ونحن في القرن العشرين ، وفي عصر الرقى ، والتقدم الفنى ، فليس كالاسلام مبدأ يشيد بعزة الانسانية ، ويصون حرمتها في المساواة بين ابنائه . هذا دين الحق ، وان الدين عند الله الاسلام .



للأستاذ احمد مسلم ابراهيم

للاسلام غايات نبيلة وأهداف سامية تكمن وراء تشريعاته وتقنين قوانينه وسن أحكامه وكلها لسعادة الانسان وخير المسلمين ، ومن بين هذه التشريعات التى لها هذه الاهداف فريضة الحج ، تلك الفريضة التى هى عبادة العمر ومؤتمر المسلمين العام .

واذا كان لكل عبادة فى الاسلام هدفها الكريم وغايتها المثلى فان هدف الحج الاسمى ، وغايته العليا أن يطهر صاحبه من الرذيلة ، وأن يجمله ويحليه بالفضيلة ، ويزوده بزاد من التقوى والخير والبر .

ولكن للأسف الشديد فان الكثير من الناس يحجون البيت الحرام من غير نظر الى معنى الحج ومغازيه ، بل ينظرون اليه على أنه مناسك تؤدى ، وزيارات تقصد ، من غير نظر الى الغاية الاجتماعية منه ، ومن غير تعرف لما كان عليه السلف الصالح ، مع أن القرآن الكريم وجه الى ما يكون فى اجتماع الحج من منافع اجتماعية واقتصادية واسلامية فقال تعالى « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » .

لم ينظروا فى الحج الى المعانى الاقتصادية التى بها يعرف أهل كل اقليم ما عند الآخر من خير ليس عندهم ، وما عندهم مما ليس عند غيرهم ، وبذلك يتبادلون المنافع ، وتكون خيرات الامة الاسلامية فى جملتها للمسلمين فى جملتهم ، فلا حواجز بينهم ، ولا ضيق عند قوم ، ورخاء عند آخرين ، ولهذا المعنى الاقتصادى أبيح الاتجار فى أثناء الحج ، وصرح بذلك القرآن الكريم فقال : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا

جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الالباب . ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » ، والمقصود بابتغاء الفضل في الحج هو الاتجار .

نعم ان المسلمين لا ينظرون الى الدين الا على انه علاقة نفسية ، تكون في الصلاة والصوم والحج في أضيق صوره ، حتى صاروا يظنون أن الاسلام دين المعابد والصوامع ، ومع ذلك لا يؤدون العبادات وقلوبهم خاشعة ، ونفوسهم خاضعة لله تعالى وحده ، ولو انهم فعلوا ذلك في تقوى صادقة لأدركوا كل معانيه . فان تقوى الله توجه المؤمن الى صلاح حاله ، وصلاح حال المؤمنين جميعا ، والشعور بأن أهل التوحيد جماعة واحدة ، فالاتجاه الى القبلة هو اتجاه الى الوحدة الاسلامية في أسمى غاياتها .

عبادة جامعة

ان الحج عبادة جامعة لكل العبادات ففيه من الصلاة مناجاة الرب جل جلاله والوقوف بين يديه في بيته الاول المعظم الذى قال في شأنه « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين » .

وفيه من الصيام الصبر على المشاق والخروج عن مألوف العادات .

وفيه من الزكاة معنى التضحية بالمال ، وبذله في سبيل الله ، بل فيه نسيان المال عامة ، والخروج من جميع مشاغله ، لأن الحاج يترك أهله وأمواله وأعماله في بلده ، ولا يأخذ معه من المال الا ما يكفيه في رحلته ، وما يجود به في صدقته .

وفيه من القرب اراقة الدماء ، تعظيما لمناسك الله ، وتوسعة على عباده ، وتذكرا لسنة أبينا ابراهيم ، عليه وعلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وفيه قبل ذلك كله — وبعد ذلك كله — الاساس الاكبر للاسلام وهو شهادتان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . يتجرد الحاج لها ، ويتفرغ ، وينادى بالتلبية مرة بعد مرة قائلا « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

وبذلك يعتبر الحج المبرور عبادة العمر ، ويكون بمثابة التطهر من جميع الذنوب ، والتزود بالكثير من الفضل والرضوان ، وفي هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

مؤتمر عام

لقد شرع الاسلام للمسلمين هذا الاجتماع العام ، ليجتمع فيه المسلمون من أنحاء العالم حول الكعبة الشريفة ، وجميعهم على دين واحد ، ولغرض واحد ، حيث يقوم العلماء بتعليم الجهلاء ، ويخطب الخطباء ، ويتحدث الحكماء لوعظ المسلمين ، وارشادهم الى ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، ويتبادل الجميع الآراء والافكار ، ويعود الحجاج الى بلادهم ، وهم مزودون بكثير من الاخبار عن اخوانهم فيقوى الاخاء بين المسلمين ، ويزول التباغض والتحاسد . فضلا عما يكون فى زيارة تلك الاماكن الطاهرة من تقرب الى الله ، وعظة وعبرة ، والتجاء الى خالق الكائنات ، وتخلق بأخلاق السلف الصالح ، وتنبيه للنفس الغافلة ، وحملها على ذكر الله الواحد القهار ، حيث يجتمع المسلمون فى مكان واحد ، ويتجهون الى الله بقلوبهم رافعين أكف الضراعة اليه بالرجاء ، مبتهلين اليه بالحمد والدعاء ، قلوبهم مؤمنة ونفوسهم راضية طيبة ، فلا يخيب الله لهم رجاء ، ولا يرد لهم دعاء ، بل يشملهم بفضله ورحمته ، فيندمون على ما فعلوا من ذنوب ، ويقفون بين يدى الله خائفين من هول اليوم الذى « يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه » .

التهيؤ للحج

وينبغى على المسلم اذا عزم على السفر لأداء فريضة الحج أن يبادر الى التوبة النصوح ، ورد المظالم الى أربابها ، وقضاء ما عليه من الديون ، واعداد النفقة لجميع من تلزمهم نفقته ، الى وقت الرجوع من رحلته ، وأن يختار لحجه وعمرته نفقة طيبة ، لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول (ان الله طيب لا يقبل الا طيبا) ويقول عليه السلام (اذا خرج الحاج بنفقة طيبة ووضع رجله فى الغرز (الركاب) فنادى : لبيك اللهم لبيك ـ ناداه مناد من السماء ـ لبيك وسعديك ، زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور . واذا خرج بالنفقة الخبيثة ، فوضع رجله فى الغرز ، فنادى ـ لبيك ـ فاذا مناد من السماء يقول ـ لا لبيك ولا سعديك ـ زادك حرام ونفقتك حرام ، وحجك مأزور ، غير مبرور .

كما ينبغى على المسلم أيضا أن يلتمس رفيقا صالحا ، محبا للخير ، معينا على فعله . ان نسى ذكره ، وان ذكر أعانه ، وان عجز قواه ، وان ضاق صدره ثبته وفرج كربته ، وينبغى أن يودع أهله واخوانه وجيرانه ، ويلتمس دعاءهم ، فان الله جاعل فى دعائهم خيرا كثيرا . ولهذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان دائما يدعو لمن أراد السفر بقوله « فى حفظ الله وكنفه ، زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت) .

وعلى الحاج أيضا اذا ركب مركبا أيا كان نوعه أن يقول (اللهم أنت الصاحب فى السفر ، وأنت الخليفة فى المال والاهل والولد ، اللهم انا نسألك فى سيرنا هذا أن تطوى لنا الارض ، وتهون علينا السفر ، وتبلغنا حج بيتك ،

وزيارة مسجد نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وانا الى ربنا لمنقلبون) .

والحج ــ كما لا نحتاج أن نقول ــ ركن من أركان الاسلام الخمس لا يكتمل اسلام المسلم الا به ، غير أن الله سبحانه وتعالى رحمة بعباده قد فرضه مشروطا بالقدرة والاستطاعة ، حيث قال (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) . والمراد بالاستطاعة هنا أن يكون المسلم حرا راشدا صحيح البدن ميسور الزاد والراحلة قادرا على نفقة عياله مدة سفره فى حجه مع أمن الطريق وحل المال . فمن لا يتوافر له هذا كله فلا وجوب عليه .

اما مع الاستطاعة المتكاملة ــ فهو فريضة واجبة الاداء فى غير تردد ولا ابطاء ولا انساء لمرة واحدة فى ميقاتها الزمنى المعروف من كل عام . فان وسع المسلم أن يكرر اداءها فذاك مزيد من الخير مشكور ، ومحمدة مثاب عليها ، لما يقترن بالحج من اعمال صالحات ، تزداد بها الارواح طهرا وصفاء . روى ابو هريرة فقال ــ خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن نزلت آية الحج فى أواخر السنة التاسعة من الهجرة ــ فقال : ايها الناس : ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا . فقال رجل ــ اكل عام يا رسول الله ؟ فسكت النبى حتى قالها الرجل ثلاثا ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (لو قلت نعم لوجبت عليكم وما استطعتم) .

وينبغى على المسلمين أن يعلموا أن هناك فى هذا اللقاء الكبير والمؤتمر العام مقاصد انتظمتها شرعته السماوية ، حيث يستعرض المسلمون مجريات الاحداث فى بلادهم وشعوبهم كأمة واحدة ، فينظروا فيها نظرا واسعا ، منزها عن الاهواء الشخصية ، مبرءا من المنازع الشعوبية ويدرسونها دراسة وافية ، ويضعون لها الحلول العاجلة ، التى تحقق الخير للأمة العربية والاسلامية على السواء ، ففى الحج يلتقى رجال المال والاقتصاد لوضع أسس التعاون الاقتصادى والتبادل التجارى ، حماية للانتاج الاسلامى من أن تعبث به أصابع الاستعمار والصهيونية ، كما يلتقى ايضا أمجاد العروبة والاسلام فى وطن الاسلام الاول ، حيث نزلت الآيات البينات نورا وهدى للناس اجمعين ، ومشى فيه الانبياء والابطال الذين كانوا يفجرون ينابيع العلم اذا فكروا ويبسطون لواء العدل اذا حكموا ، ويحملون لواء النصر اذا دافعوا ، وبذلك يصل المسلمون حاضرهم المشرق بماضيهم الخالد المجيد .

معنى اعمال الحج

وللحج اعمال أربعة يجب على الحاج أن يحرص على ادائها وهى الاحرام والطواف حول البيت الحرام والسعى بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة . ولو دققنا النظر فى هذه الاركان الاربعة لوجدنا أن لكل منها فلسفته وتوجيهاته ذات الصلة الوثيقة بحياة الفرد والجماعة .

الاحــــرام

فالاحرام عبادة قوامها التجرد ، ونسيان النفس ، والانخلاع من المظاهر المألوفة ، ومن أبهة الحياة ، ومن غريزة العدوان على الاشـــياء وعلى الحيوان والانسان ، لأن المسلم اذا احرم أخذ وصفا جديدا . ليس له أن يحارب أحدا ، أو يقتل صيدا ، أو يقطع شجرا ، أو يشاحن ، او يجادل ، بل عليه أن يســـلم نفســه الى الله ، وينظر الى أنه ضيف فى رحابه .

الطــــواف

والطواف حول البيت الحرام يوحى للمؤمن بأن واجبه أن يلتزم النطـــاق الذى حدده الله له فى حياته ، كما يلتزم الدوران حول بيته ، والطائف حول البيت يدور حوله سبع دورات ، وهو يدعو ربه ، متجها اليه بقلبه وســـمعه وبصره ، يرجو رحمته ، ويطلب توفيقه ، ويخشى عذابه ، ويبرأ اليه من كل ذنب واثم اقترفه ، ويعلن فى صدق واخلاص أن أعظم امانيه فى موقفه هذا أن يرزقه الله النجاة من النار ، ويدخله جنة تجرى من تحتها الانهار .

الســـعى

والسـعى بين الصفا والمروة فيه أيضا ايحاء للمؤمن بأنه حين يسـعى فى حياته ، وينشط رائحا وغاديا ، انما يسعى وينشط فى ظل من عناية الله ، وفى نطاق معونته وتوفيقه . والمؤمنون منا يشعرون بأنهم فى هذا السـعى محققون لأمر الله ، مستظلون بظله ، فدنياهم العملية مرتبطة بما يؤمنون به من عقيـــدة صادقة فى أن الله سبحانه وتعالى هو رب هذا الكون بما فيه ، ومن فيه ، وأنه هو الذى هيأ لكل مخلوق مسعاه ومراحه ومغداه (كل ميسر لـــا خلق له) .

واذا كان يجد فى مسعاه وينشط ، ويبذل ما منحه الله من جهود مادية ، فانه لا ينسى مع ذلك ما عليه لله من واجبات ، وما هو فيه من فضله ونعمته . وبذلك تتصل ماديته بروحه ، وروحيته بمادته ، فيكون مؤمنا عاملا يخدم نفسه ودينه وأمته ، ينطبق عليه قول الله تعالى (من عمل صالحا من ذكر او أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

الوقـــوف

والوقوف بعرفة فى يوم الحج الاكبر له توجيهـــاته الباقية ، وتاريخـــه وذكرياته الماضية ، فمن توجيهاته وايحاءاته ما يوحى به الموقف العظيم الذى اجتمع له الناس من كل فج عميق . من وحدانيـــة الله التى يؤمن بهـــا هؤلاء الخلق ، المختلفو الاجناس والالوان والالسنة ، وقد تركوا أموالهم واولادهم ، وجميع مظاهر حياتهم واعمالهم ومتاعهم من أجلها ، ورضوا باحتمال المشاق ، وتكبد الاسفار ، ولا يكون هذا الا عن ايمان عميق ، وروح طيبة طاهرة ، خاشعة لمالك الملك والملكوت ، فضلا عن أن المؤمن الواقف بعرفات وسط هذا الجمع

الحاشد ، يدرك تماما معنى التوحيد والايمان حسا وتطبيقا ، كما عرفه من قبل معنى وقولا . ويشهد أيضا بصورة عملية وحدة الامة الاسلامية ، متجلية فى اجتماع وفودها بمكان واحد ، وفى وقت واحد ، وهى تدعو ربا واحدا ، وتؤمن بكتاب واحد ، ورسول واحد ، وتتجه بقلوبها الى الله تطلب منه تحقيق هـذا الهدف الموحد وهو نصر الاسلام ، واعلاء كلمته ، ولو كره الكافرون .

ذكريات يوم عرفة

اما من ناحية ذكريات هذا الموقف فحسبنا أن هذا اليوم هو الذى أتم الله فيه نعمته على المسلمين ، وفيه نزل قول الله تبارك وتعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ، وقد قال أهل الـكتاب عندما أنزلت هذه الآية « لو أنزلت علينا هذه الآية لجعلنا يوم نزولها عيدا لنا . فقال عمر بن الخطاب : أشهد لقد نزلت فى عيدين : نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، وكان يوم جمعة وكلاهما عيد » .

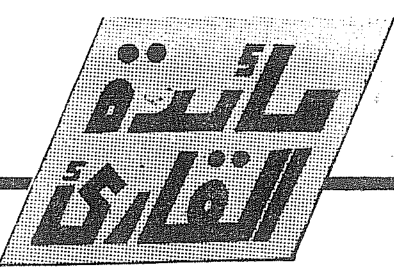
وقد جاء فى بعض الاحاديث تصويرا لموقف الشيطان حين رأى رحمات الله تنزل على عباده يوم عرفة ، انه لما علم أن الله سبحانه وتعالى استجاب لرسوله صلوات الله وسلامه عليه دعواته لأمته بالمغفرة الشاملة ، أهوى يدعو بالويل والثبور ، ويحثو التراب على رأسه . وقد قيل أيضـا فى حديث آخر « ما رئى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ـــ اى أشد اندحارا ـــ ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة » ، وما ذاك الا لما يرى فيه من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام .

وحسبنا أيضا من ذكريات هذا الموقف الخالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فيه خطبته الكبرى ـــ خطبة الوداع ـــ التى قرر فيها المبادىء العامة للحقوق والواجبات فى الاسلام حيث قال : « أيها الناس : ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . . الا هل بلغت . اللهم فاشهد . أيها الناس : ان لنسائكم عليكم حقا وان لكم عليهن حقا ـــ أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب . أكرمكم عند الله اتقاكم . ليس لعربى فضـــل على عجمى الا بالتقوى ـــ الا هل بلغت اللهم فاشهد » .

وهكذا فان الاسلام يتابع سيره بالفرد المسلم أو بالجماعة المسلمة فى طريق الوحدة والتجمع بعد ان عرف الطريق الى الله ، وانطلق لسانه وعقله وقلبه وكل جوارحه تعلن أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . وبعد أن أخذ بيده ليسير فى التطبيق العملى لمعنى ذلك التوحيـــد حتى لا تستبد به مع الايام شـــهواته فينحرف عن الطريق السوى لمعنى التوحيد وبعد أن حصنه بالصلاة والصـيام والزكاة فختم أركانه الخمســة بفريضــة الحج الى بيت الله الحرام ليخلص الانسانية من طبقية جامحة غاشمة ما كان مقدرا لها أن تتخلص منها بغير ذلك التوجيه .

ولهذا فاننا نرى رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه يقول (من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام فلم يحج . فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا) .

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا حج بيته وشفاعة نبيــه ويهدينا جميعا سواء السبيل .



اعدها : ابو نزار

سبحان الله

كل شيء هو نفسه الا الانسان فكثيرا ما يكون غير نفسه : شجرة الورد والتفاح والحنظل تعبر عن طبيعتها في صدق دائما ، وتنتج ثمارها من جنس طبيعتها دائما ، ولا تخرج شجرة التفاح حنظلا يوما ما .

أما الانسان فلا يعبر عن حقيقته دائما ، فقد يعبر عن جوعه وهو متخم ، وعن حبه وهو كاره ، وعن اخلاصه وهو يخفي الاجرام ، وأن يقول غير ما يفعل .

□□□

امانة الحاكم

استدان ولد لعمر بن الخطاب من ابي موسى الاشعري حين كان واليا على الكوفة — اموالا من خزانة الدولة ليتاجر بها . على ان يردها بعد ذلك كاملة غير منقوصة ..

واتجر ولد عمر ، فربح ، فبلغ ذلك عمر فقال له :

انك حين اقترضت من ابي موسى انما اعطاك لانك ولد امير المؤمنين ..

انك حين اشتريت انقص لك البائعون في الثمن لانك ولد امير المؤمنين ..

ولما بعت زاد لك المشترون في الثمن لانك ولد امير المؤمنين ..

لا جرم ان كان للمسلمين حق فيما ربحت ، فقاسمه نصف الربح ، واسترد منه القرض .

واشتد في العتب على ابي موسى لانه اسلف ولد امير المؤمنين من اموال الدولة ما لا يفعله مع غيره من الرعية .

□□□

وزير لا تقبل شهادته

شهد الفضل بن الربيع وزير الرشيد عند أبي يوسف القاضي ، فلم يقبل شهادته ، فعاتبه الخليفة في ذلك ، وقال له : لم رددت شهادته ؟

قال أبو يوسف : لأني سمعته يوما يقول للخليفة : انا عبدك . فان كان صادقا فلا شهادة للعبد ، وان كان كاذبا فلا شهادة للكاذب ، واذا لم يبال في مجلسك بالكذب ، فلا يبالي به في مجلسي ، فعذره الخليفة !!

□□□

حماة مثالية

قالت اسماء بنت خارجة الفزاري لابنتها عند الزفاف :

يا بنية : انك خرجت من العش الذي فيه درجت ، فصرت الى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تالفيه ، فكوني له ارضا يكن لك سماء ، وكوني له مهادا يكن لك عمادا ، وكوني له أمة يكن لك عبدا .

لا تلحفي به فيقلاك (لا تلحي عليه فيكرهك) ولا تباعدي عنه فينساك .

ان دنا منك فاقربي منه ، وان نأى عنك فابعدي عنه .

واحفظي انفه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك الا طيبا ، ولا يسمع منك الا حسنا ، ولا ينظر الا جميلا !!

الوالد العـــاق

جاء رجل الى عمر بن الخطاب يشكو اليه عقوق ابنه ، فاحضر عمر الولد ، واتبه على عقوقه ، فقال الولد : يا امير المؤمنين اليس للولد حقوق على ابيه ؟ قال : بلى ، قال : فما هى يا امير المؤمنين ؟ قال عمر : أن ينتقى امه ، ويحسن اسمه ، ويعلمه الكتاب (القرآن) .

قال الولد : يا امير المؤمنين : ان ابى لم يفعل شيئا من ذلك . أما أمى فانهـا كانت أمة لمجوسى .. وقد سمانى (جعلا : خنفساء) ولم يعلمنى من الكتاب حرفا واحدا ، فالتفت عمر الى الرجل ، وقال له : جئت تشكو الى عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك ، وأسأت اليه قبل أن يسىء اليك .

□□□

كيف أصبحت ؟

قيل للشافعى : كيف اصبحت ، فقال : كيف أصبح من يطلبه ثمان : الله تعالى بالقرآن ، والنبى صلى الله عليه وسلم بالسنة ، والحفظة بمـا ينطق ، والشيطان بالمعاصى ، والدهر بصروفه ، والنفس بشهواتها ، والعيال بالقوت ، وملك الموت بقبض روحه .

□□□

حق الجـار ولو ...

كان لأبى حنيفة جار يشرب طول الليل ويكثر صياحه وترداده لهذا البيت .

اضاعونى وأى فتى اضاعوا   ليوم كريهـــة وســـداد ثغر

حتى يأخذه النوم ، وأبو حنيفة يسمع كل يوم جلبته ، ثم فقده ليلة ، وعلم أن العسس أخذه ، فركب أبو حنيفة ، واستأذن على الامير ، وسأله ان يخلى سبيله ، فقال له الامير : وكل من أخذ فى تلك الليلة ، فلما خرج ألفتى قال له « أضعناك ؟؟ » وأعطاه ما يستعين به على نقصان دخله فى أيام حبسه ، فكشف الله بهذا الاحسان الغمة عن عقل الفتى حتى تاب ، وتتلمذ على أبى حنيفة .

□□□

ذكاء مفـــرط

شكت امرأة الى الخليفة المــأمون فقالت : يا أمير المؤمنين . مات أخى وترك ٦٠٠ دينار ، فحكم القاضى لى بدينار واحد . فقال لها المأمون : هــذا نصيبك . قالت وكيف ذلك ؟ قال : الرجل ترك ابنتين ووالدة وزوجة واثنى عشر أخا . قالت : نعم . قال : فللبنتين الثلثان ٤٠٠ وللوالدة السدس ١٠٠ وللزوج الثمن ٧٥ ولكل أخ ديناران ولك دينار .

□□□

فى مكتبة المعـز

قال المقريزى : دخل احد السياح مكتبة المعز لدين الله الفاطمى بالقاهرة فرأى فيها مقطعـا من الحرير الازرق غريب الصنعة فيه صورة أقاليم الارض وجبالهـا وبحارها ومدنها وانهـارها ومساكنها وجميع المواطن المقدسة مبينة للناظر ، مكتوبة أسماء طرائقها ومدنها وجبالها وبلادهـا وانهارها وبحارها بالذهب وغيرها بالفضة ، فقال يكفينى من العجائب هذه .

□□□

ثمانية ملوك فى الأسر

لم يجتمع لخليفة ما اجتمع للمعتصم من الظفر والنصر !!

أسر ملك أذربيجان ، وملك طبارستان ، وملك استسيان ، وملك اشباصح ، وملك فرغان ، وملك تخارستان ، وملك الصفه ، وملك كابل .



أعظم شاعر صوفي عرفه العالم

الأستاذ : لطفي ملحس
عمان : الكلية العلمية الاسلامية

ولد محمد بن حسين البلخي المعروف بجلال الدين الرومي ، في السادس من ربيع الاول سنة ٦٠٤ للهجرة (٣٠ سبتمبر ١٢٠٧ للميلاد) في مدينة بلخ ، التي لم تعد اليوم أكثر من قرية في شمال أفغانستان .. وقد كانت « بلخ » مقرا اداريا وتجاريا ، كما كانت مركزا دينيا شهيرا ايضا .. فقد بنى فيها الزرادشتيون ما لا يقل عن خمسة هياكل لعبادة النار ، واسس البوذيون بها كذلك ديرا سمى « النوبهار » وظل قائما حتى فتحها « الاحنف بن قيس » عام ٣٢ للهجرة (٦٥٣ للميلاد) .. وقد استمرت صلة المدينة الطويلة بالعبادة الى ما بعد مجيء الاسلام .. وقد تولى امارتها عدد من الامراء ، **كان من ابرزهم « ابراهيم ابن ادهم » الذى ترك الامارة بعد توليتها مدة قصيرة ، ليتشغل في امور الدين والتصوف ..**

نسب جلال الدين الرومي :

اختلف الادباء والمؤرخون في نسب جلال الدين الرومي ، فمنهم من رده الى ولد أبي بكر الصديق ، ونسبه آخرون الى ابراهيم بن أدهم ، كذلك تنازع نسبه الفرس والترك ، كما تنازعوا ابن سينا وغيره ، وقد رحل به أبوه المعروف ببهاء الدين ، والملقب بسلطان العلماء وهو في سن الرابعة ، وصحبه في حله وترحاله . وقد تلقى جلال الدين العلم عن والده الذى عرف عنه تضلعه في العلوم الاسلامية التقليدية ، وفي آرائه الصوفية .

ومما يذكر أن بهاء الدين كان قد هرب مع عائلته قبل وصول المغول الى « بلخ » التي دمرتها جحافل جنكيزخان تدميرا كاملا عام ١٢٢٠ م . وكانت قد توقفت جماعة النازحين الصغيرة « بهاء الدين وعائلته » أولا في نيسابور ، حيث

أكرمهم الشاعر الصوفي الفارسي العظيم « فريد الدين العطار » الذي ذهب بعد ذلك ضحية المغول ، ويقال أن فريد الدين تبين في الصبي جلال الدين جميع معالم الولاية اللاحقة ، وأنه قدم له نسخة من خير كتبه المعروفة « أسرار نامه » أي كتاب الاسرار ، وقد اقتبس ابن الرومي في كتاباته اللاحقة عن العطار ، كما تأثر بكتابات « سنائي » وهو شاعر صوفي فارسي ، تعرف على كتاباته عن طريق عضو بارز في حلقة والده ، وهو برهان الدين محقق الترمذي الذي أصبح فيما بعد مدرسا لجلال الدين كما سنرى .

استقرارهم في الاناضول :

سار بهاء الدين بعائلته من نيسابور الى بغداد ، ولكنهم لم يمكثوا في العاصمة العباسية طويلا ، بل تابعوا السير الي سوريا ثم تركيا . وأخيرا استقروا في قونية « في الاناضول » . حيث حظي بهاء الدين برعاية الحاكم السلجوقي كيقباد .. ومات بهاء الدين عام ٦٢٧ هـ ـ ١٢٣٠ م ، بعد عمر طويل شاهد فيه ابنه وقد تعلم ، واستقر ، وتزوج ، وانجب في المحيط الجديد .

وفي العام التالي وصل الى قونية برهان الدين محقق الترمذي ، وتابع محاولاته في تدريب جلال الدين على التصوف ، وشجعه على السفر الي حلب ودمشق ، لاتمام تعليمه ، وليس هناك ما يدعو للشك في أن الرومي قابل في دمشق محيي الدين بن العربي ، المتصوف الاندلسي العظيم ، وأنه تتلمذ عليه .. ولما عاد جلال الدين الى قونية عينه (غياث الدين كيخسرو) معلما وواعظا ، وهي الوظيفة التي شغلها ابوه من قبله ، وكان عمره اذ ذاك (٢٤) سنة ، وهو مركز لا يتمتع به الا من كان على سمة من العلم والثقافة ، والمواهب النادرة ، وعليه امارات التصوف الصحيح ..

من مدرس الى متصوف :

تولى جلال الدين الدرس في اربع مدارس في مدينة قونية في الاناضول ، وكثر طلابه ، وقد وقع له وهو بين الخامسة والثلاثين والاربعين حدث غير اتجاهه ، وهو لقاؤه بالدرويش العجيب « شمس الدين التبريزي » فانقطع بعد لقياه عن التدريس ، وانصرف الى الرياضة الصوفية ، ونظم الشعر ، وسماع الموسيقى ، وقد شعر الرومي أنه وجد في هذا الرجل تجسيد الحكمة كلها والرجل الكامل ، فالتحق بصحبته في حماس بالغ ، وتخلى عن وظائفه الاخرى ، ليتمكن من ملازمته في وجدانه الروحي .

وقد كان ذلك سببا في اغاظة اصدقاء الرومي وطلابه ، فثاروا على ذلك الدرويش ، واضطروه للهرب من قونية الي دمشق ، فارسل الرومي اليه ابنه « سلطان ولد » ليعود به ، ثم ذهب اليه جلال الدين نفسه ، لانه لم يصبر على فراقه ، فأرجعه الى قونية ، وساد التفاهم الجو حينا ، ولكن سرعان ما أعقبه انفجار آخر لحقد المريدين القدماء وحسدهم ، فاختفي شمس الدين عن قونية ثانية ، ولم يسمع عنه بعد ذلك .

هوايات جلال الدين الرومى :

شغل جلال الدين بالرياضة ، وشغف باستماع الموسيقى والغناء ، ونظم الاشعار ، وانشادها ، وردد فى كثير منها اسم شمس الدين التبريزى ، ومع انه ــ أى جلال الدين يعتبر أعظم شاعر صوفى فى العالم فقد وقفت على بعض اقوال له فى بعض كتبه ، ويفهم منها بصراحة أنه كان كارها للشعر ، غير مهتم به ، وأنه لا يحفل الا للنثر الرصين المتزن ، فمما قاله مثلا « .. ولكنى حساس لدرجة انى أخشى على أصدقائى من الارهاق عندما يأتون الى هنا ، ولذلك أتكلم الشعر حتى أشغلهم به ، والا فمالى وللشعر ؟ انى والله ما أهتم بالشعر ، وما هناك ما هو أسوأ فى نظرى من ذلك . ولكن الشعر واجب على ، مثلمـــا هو واجب على المرء أن يغوص بيديه فى الكرش لينظفها ارضاء لشهية ضيف طابت له الكرش » .

كلمات غريبة تصدر عن رجل قد اتفق العلماء على أنه أعظم شاعر صوفى فى العالم . وأن أشعاره التى نظمها فى كتبه « التى سيأتى ذكرها » قد حسبت بمـــا يزيد عن الخمسين ألف بيت عدا رباعيـــاته التى تزيد على ألف وستمائة رباعية .

ومن أقوال ابنه « ابن جلال الدين » عن ابيه قوله « انه لم ينقطع عن السماع للموسيقى ، وعن الرقص ، ولم يسترح قط ، لا فى ليل ولا نهار ، كان مغنيا فأصبح شاعرا ، كان متقشفا فأصبح ثملا بالوجد . ولكنه لم يثمل من خمرة العنب . فان النفس المستنيرة لا تعاقر الا خمر النور » .. وعلى هذا فقد اجتمع اليه المريدون ، فراضهم على طريقته التى عرفت من بعد باسم « المولويه » ولا يزال قسم غير قليل من المولويين فى دمشق حتى الآن يمارسون طريقتهم بحركات أشبه بالرقص ..

وفـــاته :

واستمر جلال الدين على تلك الهوايات الى ان توفى فى مغرب يوم الاحد (خامس جمادى الثانية سنة ٦٧٢ هـ ــ ١٢٧٣ م) ودفن بجانب أبيه فى قونية ، وقبره فى القبة التى شـــادها له علاء الدين السلجوقى . وخلفه فى مشيخته وطريقته ، خدينه ونجيه « حسام الدين جلبى » الى أن توفى هذا سنة (٦٨٣) هجرية ..

من آثار جلال الدين الصوفية :

ترك جلال الدين أثريه الخالدين على الدهر « المثنوى ، والديوان » وتنسب اليه رسالة منثورة اسمها « فيه ما فيه » توجد منها نسخ فى مكتبات استانبول ، أما كتابه ، المثنوى ، فهو منظومة صوفية فلسفية عظيمة تضم (٢٥٧٠٠) بيت من الشعر ، وتقع فى ستة أجزاء ، وهو قوى البيـــان ، فيـــاض الخيال ، بارع التصوير ، يوضح المعنى الواحد فى صور مختلفة ، وتأتيه المعانى ارسالا ، وفى المنظومة أى « المثنوى » تعليم بين تفسير آية ، وشرح قصة ، وضرب مثل ،

وكله يتصل بمقصده الاخير حب الله والفناء فيه .. فجلال الدين فى المثنوى استاذ معلم ، مختلف الاساليب ، يخاطب وينصح ، وينتقل بتلاميذه من فن الى آخر ومن كتاب « المثنوى » أذكر للقارىء العزيز الابيات التالية :

استمع للناى غنى وحكى — شفه البين طويلا فشكا
اين صدر من فراق مزقا — كى ابث الوجد فيه حرقا
كل ناد قد رآنى نادبا — كل قوم تخذونى صاحبا
ظن كل اننى نعم السمير — ليس يدرى اى سر فى الضمير
ان سرى فى أنينى قد ظهر — غير أن الاذن كلت ، والبصر
ليس بين الروح والجسم حجب — غير أن الروح عنا تحتجب
ان صوت الناى نار ، لا هواء — كل من لم يَصْلَهَا فهو هباء
من راى كالناى سما ودواء — من راى كالناى غما وعزاء
حارت الأيام فى آلامنا — ليس الا النار فى أيامنا
كل ظمآن سوى الحوت ارتوى — من يفتقه الزاد أعياه المدى
من يمزق ثوبه العشق صفا — وزكا كالدر خلئ الصدفا
مرحبا يا عشق ، يا خير امل — يا طبيب النفس من كل العلل

□□□

كتاب الديوان :

وكتابه « الديوان » فن آخر من النظم ، هو قصائد قصيرة متفرقة ، كل واحدة مستقلة عن الاخرى ، يغلب فيها فورة الشعر وخياله ، اختار لها وزنا خاصا ، وقافية ، وان كانت المعانى متشابهة متقاربة أو متماثلة ، وهى فيض فى العشق والفناء ، وغيرهما من المطالب العالية فى نحو (٤٦) الف بيت .. واليك هذه المقطوعة من « الديوان » قد وضع أمامك ، منذ جئت عالم الوجود سلم الخلاص ، كنت جمادا ، فصرت نباتا ، ثم صرت حيوانا ، كيف خفى هذا عليك ؟ ثم صرت انسانا ذا عقل وعلم وايمان ، فانظر اى زهرة صار هذا الجسم الترابى .

واذا جاوزت الانسان تصير ، ولا ريب ، ملكا ، فتترك هذه الارض الى السماء .

جاوز الملكية أيضا ، وادخل ذلك اليم تصير قطرتك بحرا هو مئة بحر .

كتاب « فيه ما فيه » :

استغل الرومي موهبته الروائية فى عرضه وتفسيره لما كان يجيش فى صدره من أمور معقدة فى مذهبه ، وهى طريقة كان قد انتهجها المعلمون ، والكتاب الصوفيون من قبله ، وكانت شائعة عند سائر المفسرين فى الاسلام ، سواء كان موضوعهم شعرا أو فصاحة ، أو أخلاقيات ، أو تاريخا . غير أن الرومى كان راوية للنوادر بالفطرة ، وفيما يأتى نورد بعض هذه النوادر التى وردت فى كتابه « فيه ما فيه » « اخذ رجل يهز شجرة مشمش ، ويأكل ثمرها ، فعنفه صاحب البستان قائلا : الا تخاف الله ؟ فأجاب الرجل : لماذا اخافه ؟ الشجرة لله ، وانا خادم الله .. خادم الله اكل من ملك الله ..

فصاح صاحب البستان : اليك جوابى اذن : أحضروا حبلا ، واربطوا الرجل الى هذه الشجرة ، واضربوه حتى يبين الجواب جيدا .. فقال الرجل : الا تخاف الله ؟ فأجابه صاحب البستان : لماذا أخافه ؟ أنت خادم الله ، وهذه عصا الله ، وانا أضرب خادم الله بعصا الله !!

ومن أقوال جلال الدين فى كتاب « فيه ما فيه » هذا القول : « كلا الكافر والمؤمن يعلن حمد الله . فقد أعلن الله تعالى ان كل من يتبع الصراط المستقيم ، ويعمل الخير متمثلا بالشرع والانبياء والاولياء يمنح سعادة وضياء وحياة . أما اذا فعل عكس ذلك ، لقى ظلاما ورعبا وعثرات وعذابا ، وما دام كلا المؤمن والكافر يسلك طريقه ، وما وعد به الله تعالى يتحقق بدقة وبلا زيادة ولا نقصان ، فان كليهما يصرح بحمد الله .. الواحد بلسان والثانى بلسان .

ولنأخذ مثلا بلص سرق فشنق ، انه أيضا واعظ للمسلمين يقول : « هذا مآل من يسرق » ، ورجل آخر خلع الملك عليه ثوب الشرف لبره واستحقاقه . هو ايضا واعظ للمسلمين ، غير أن اللص يعظ بذاك اللسان ، والرجل الامين بهذا اللسان » .

ولطريقة الرومى فى العرض نورد مثلا آخر من نفس المصدر : « لنفرض انك البست كلبا طوقا من ذهب . انك لن تعتبره كلب صيد ، لمجرد وضع ذلك الطوق حول عنقه . فصفة كلب الصيد صفة معينة فى الحيوان نفسه سواء كان طوقه طوقا ذهبا أو حبلا .. والرجل لا يصبح عالما بفضل العمامة والقفطان ، بل العلم فضيلة فى جوهره ، ولا فرق اذا كان لباسه عاديا او رسميا .

اسع وراء الانسانية . ذلك هو المقصد الصحيح اما ما عداه فهو عبث ومضيعة للوقت . واستخدام الحلى اللفظية يذهب بالمقصد .

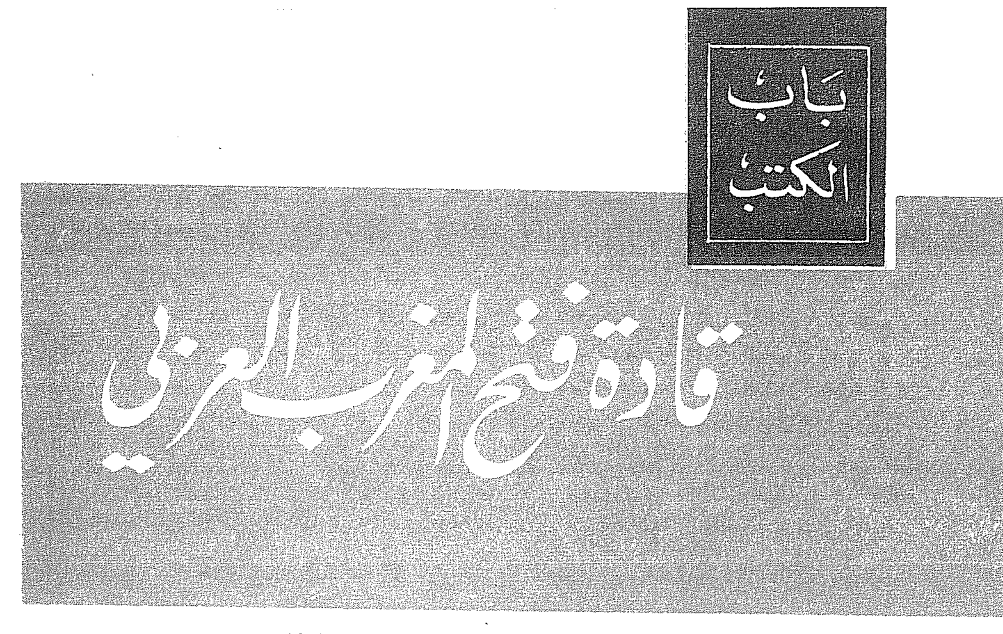
أحب بائع خضار امرأة ، فأرسل لها مع خادمتها يقول « هذا الشعور يخالجنى ، ويخالجنى ذاك . احبك . يضطرم فؤادى ، ويكتوى بنار الحب ، اتألم من قسوتك واتعذب . أمس شعرت بهذا ، وليلة أمس مر بى هذا وذاك .. واستطرد فى أوصاف مطولة . فذهبت الخادمة وقالت لسيدتها : « بائع الخضار يبعث بتحياته ويقول لك تعالى لأفعل بك كذا وكذا .. وسألتها السيدة : « أتكلم بمثل هذا البرود ؟ » فأجابت الخادمة : لقد تكلم بالتطويل . ولكن هذا كان مقصده » . فالمقصد هو لب الامر أما الباقى فمجرد صداع ..

وكثيرا ما تجرأ الرومى فى تعابيره شأن متصوفين آخرين كثيرين كما يبدو ذلك فيما يلى :

« عندما يسمع انسان أن فى مدينة ما رجلا كريما يوزع العطايا والاحسانات . فمن الطبيعى أن يذهب اليه أملا فى الحصول على نصيب من جوده . وما دام جود الله ذائع الصيت ويعلم به كل انسان ، فلماذا لا تستجديه آملا أن يخلع عليك رداء شرف وعطاء سخيا ؟

أنت تجلس متكاسلا وتقول : يعطينى الله ان شاء ، ولا تلح فى الطلب أبدا . اما الكلب وهو الذى لم يوهب العقل والفهم ، فانه يأتيك عندما يجوع ، ويحرك ذنبه كأنه يقول : أعطنى خبزا مما لديك ، وليس لدى منه .. الكلب نفسه يتمتع بادراك الى هذا الحد وأنت على أى حال ، لست بأقل من كلب ، يأبى أن ينام على الطوى ، قائلا لنفسه ان شاء أن يعطينى خبزا فعل ذلك بنفسه .. بل يستعطف ، ويحرك ذنبه .

فهل تهز ذنبك وترجو الله ؟ ان الرجاء فى حضرة الله الوهاب فرض لازم » .



تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب
٣٥٢ صفحة من القطع الكبير
نشرته دار الفتح للنشر والطباعة ـــ بيروت

عرض وتلخيص
الاستاذ سعيد زايد بمجمع اللغة العربية

الاستاذ اللواء محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمى العراقى ، والعضو المراسل لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والوزير السابق فى العراق الشقيق . ومؤلف هذا الكتاب ، عالم عربى اصيل ، ملك عليه اسلامه وعربيته كل زمام نفسه ، فأصبح يتغنى بهما فى كل محفل . ويظهر آثارهما فى كل مجال ، وقد ابلى فى سبيلهما فى ميدانى السيف والقلم ، متطوع فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ حيث عين ضابط ركن اللواء المرابط فى مدينة جنين ، وحارب فى سبيل الحق المقدس ، واشترك فى حروب أخرى ، دفاعا عن العروبة والاسلام ؛ وله مواقف عسكرية كثيرة تشهد باخلاصه فى ميدان الاسلام ، والذود عن الوطن العربى ، والى جانب ذلك كله اشترك فى أربع وعشرين دورة عسكرية ، ونشر عدة بحوث فى كافة المجالات العسكرية ، والف بعض الكتب فى ذلك ، مثل كتاب « القضـــــايا الادارية فى الميدان » ، وكتاب « التدريب الفردى ليلا » ، وكتاب « المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم » وهو عمل ضخم صدر منه الجزء الاول ، وجزؤه الثانى فى سبيله الى الظهور ان شاء الله .

وللأستاذ خطاب غير المؤلفات العسكرية ، مؤلفات أخرى جليلة القدر ، فهى ابحاث علمية تظهر ما للاسلام والمسلمين ، وما للعربية والعرب من اثر جليل على الانسانية ، وهذه الكتب هى : الرسول القائد ، قادة فتح العراق والجزيرة ، قادة فتح بلاد فارس ، قادة فتح الشام ومصر ، الفاروق القائد ، المهلب بن أبى

صفرة الازدى ، الاحنف بن قيس التميمى ، قتيبة بن مسلم الباهلى ، طريق النصر ، قادة فتح المغرب العربى فى جزاين .

ويقع الجزء الاول من كتاب قادة فتح المغرب العربى فى ٣٥٢ صفحة من القطع الكبير ، أهداه مؤلفه الى ذى النورين عثمان بن عفان ، وقدم له بالآية الكريمة « قل لله المشرق والمغرب ، يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » ، واستهله بفصل كبير عن البلاد والسكان والتاريخ قبل الفتح الاسلامى وفى أيامه ، ثم عرض حياة سبعة من القادة ، سماهم القادة العامين .

يبدأ الاستاذ خطاب كتابه بالاشادة بحركة التعريب فى المغرب العربى ، تلك الحركة المباركة التى تهدف الى اعادة المكانة السامية للغة القرآن الكريم فى ربوعه ، بعد أن حاول المستعمر فرض لغته ، ثم يتحدث عن بلاد المغرب وهى البلاد التى تبدأ من حدود مصر الغربية الى المحيط الاطلسى ، وكان يسكنها البربر ، وهم أقدم أمة عرفها التاريخ فى الشمال الافريقى ، ولم تكن لهم أديان ثابتة قبل الاسلام ، فقد كانوا وثنيين تارة ، ويهودا تارة أخرى ، واعتنقوا المسيحية فى القرون الاولى ، ثم نسوها حين استعادوا استقلالهم من الروم .

ولم يعرف تاريخ المغرب الا من عصر الفينيقيين ، اما ما قبل ذلك فلم يعرف منه الا القليل ، ويتحدث المؤلف باختصار عن الفينيقيين ، ويذكر أنهم أسسوا مدينة قرطاجنة سنة ٨٤٠ قبل الميلاد فى البقعة التى تسمى الآن بتونس ، وقد قضى الرومان على قرطاجنة فى ثلاثة حروب ، وعاملوا المغاربة معاملة قبيحة ، وخسر المغاربة على أيديهم ما كانوا قد اكتسبوه من حضارة فى عصر القرطاجنيين . وكانت سياسة الروم فى افريقية — كما قلنا سابقا — سببا فى القضاء على المسيحية التى انتشرت بين أهلها ، حيث وقف الاهلون موقف العدو من كل ما يتصل بهم من دين وحضارة ، حتى بدا نور الاسلام ينشر الويته على ربوع المغرب ، بفضل جنوده البواسل وقادته الشجعان .

وقد ذكر الاستاذ اللواء خطاب ثمانية من القادة ، تحدث عن سبعة منهم ، واحال القارىء على كتابه (قادة فتح الشام ومصر) لمعرفة أخبار القائد الثامن ، وهو عمرو بن العاص السهمى .

عبد الله بن سعد بن أبى سرح

وأول قائد تحدث عنه بالتفصيل هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى العامرى ، ويكنى : أبا يحيى . وهو أخو سيدنا عثمان بن عفان بالرضاعة . وقد أسلم قبل فتح مكة ، وهاجر الى المدينة ، وكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه افتتن وعاد الى مكة مرتدا ، فأنزل الله فيه آيته الكريمة : « ومن قال سأنزل مثلما أنزل الله » . ورجل هذا شأنه كان من الطبيعى أن يكون من النفر الكفار الذين عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين بقتلهم أينما وجدوا . ولكن عبد الله فر الى أخيه عثمان بن عفان ، الذى غيبه ، ثم اتى به بعد أن اطمأن أهل مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستأمنا ، فصمت الرسول صلى الله عليه وسلم طويلا ، ثم قال : « نعم » . واسلم عبد الله فى ذلك اليوم . ولقد كان عبد الله يتوارى من الرسول صلى الله عليه وسلم خجلا كلما رآه . ولما سمع المصطفى عليه الصلاة والسلام بذلك قال : « الاسلام يجب ما كان قبله » .

وقد حارب عبد الله مع جيوش المسلمين فى فتح الشام ، وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص فى فتوحاته فى مصر ، وكم بعث به عمرو الى أطراف افريقية غازيا فكان له النصر دائما . وولى عبد الله صعيد مصر بعد فتحها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم ولى مصر كلها من قبل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد عزل عمرو بن العاص ، ثم ولي المغرب وبعد قليل من ولايته استأذن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى غزو افريقية ، وأذن له عثمان بعد استشارة الصحابة وأمده بجيش اشترك فيه الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وسمي جيش العبادلة لكثرة من اشترك فيه ممن سموا بعبد الله . وقد لقيه فى برقة عقبة بن نافع فاستولوا على طرابلس . ثم سار جيش عبد الله نحو افريقية والتقى بجيش جرجيرويوس فى موقعة (عقوبة) ، ونشبت بينهما معركة حامية . وأرسل ابن سعد الى ملك الروم يدعوه الى الاسلام أو الجزية فأبى واستكبر ، فاستأنف القائد العربى القتال ، وقوى عضده بوصول مدد عربى بقيادة عبد الله بن الزبير . وتم للمسلمين فتح افريقية ، وعاد ابن سعد الى مصر بعد أن أمضى بافريقية سنة وثلاثة أشهر . ولكنه رجع اليها مرة ثانية حين نقض أهلها العهد فأرجع للاسلام مجده . ثم انتصر المسلمون فى غزوة (ذات الصوارى) سنة أربع وثلاثين هجرية ، وبذلك بعد خطر الروم عن أرض مصر والشام .

وبعد أن عاد عبد الله بن سعد من تلك الغزوة سنة خمس وثلاثين هجرية عاد بالتالى الى أرض الحجاز ليحضر اجتماع الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه بوزرائه وعماله . وما لبث أن عزل من منصبه بعد مقتل عثمان . ولم يبايع ابن سعد لعلى أو معاوية ، واعتزل الفتنة . ويظهر انه كره الحياة كرها شديدا فدعا على نفسه ـ ذات ليلة ـ قائلا : « اللهم اجعل خاتمة حياتى صلاة الصبح » . واستجاب الله لدعائه ، فقبضت روحه قبل أن يسلم على يساره فى صلاة الصبح سنة ست وثلاثين هجرية .

معاوية بن حديج

أما القائد الثانى فهو معاوية بن حديج السكونى . شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص ، وكان موضع ثقته ، فأرسله عمرو الى الخليفة عمر رضى الله عنه ليبشره بفتح مصر والاسكندرية . وحارب معاوية فى بلاد النوبة تحت قيادة عبد الله بن سعد ، فأصيب فى عينه فى احدى المواقع ، وقد غزا ابن حديج افريقية عدة مرات ، كما ذكر المؤرخون ، ثلاثا منها مهمة هى : غزوة أثناء خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وغزوتين فى خلافة معاوية بن أبى سفيان . ويعد ابن حديج أول من غزا جزيرة صقلية سنة ست وثلاثين هجرية .

لقد كان معاوية مجاهدا كبيرا فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، وكان يتمثل دائما بأحد الأحاديث الأربعة التى رواها هو عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والذى يقول : « غدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها » .

وولى ابن حديج مصر سنة سبع وأربعين هجرية من قبل معاوية بن أبى سفيان ، ثم عزل سنة احدى وخمسين هجرية ومات سنة اثنتين وخمسين هجرية . وكان رحمه الله من الثقاة ، واسع العلم ، حازما مقداما . ولقد حاول

جهده أن يبتعد عن الفتن التي وقعت بين المسلمين منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولكن نيران الفتنة أصابته بشرررها ، فحورب واتهم بما ليس فيه مما لا سبيل الى ذكره الآن .

عقبة بن نافع

والقائد الثالث هو عقبة بن نافع الفهرى القرشي . ولد عقبة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنة واحدة ، ونشأ في بيئة ذات طابع عسكرى بحت ، وهو آخر من ولي المغرب من الصحابة ، وقد تولى عقبة بن نافع منصب القيادة في أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فشهد فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص . وقاد جيش العرب المسلمين الذى فتح زويلة وبرقة ، فولى قائدا لحامية برقة واشترك مع عبد الله بن سعد في فتوحاته الافريقية ، وأبلى تحت رايته أعظم البلاء . والى جانب هذا كان لعقبة القدح المعلى في غزو الروم بحرا .

ظل عقبة حاكما لبرقة الى ما بعد وفاة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه في أيام الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وقد استعمله عمرو بن العاص سنة احدى وأربعين هجرية على افريقية ، فغزا قبيلة لواتة التي كانت من أشهر القبائل البربر ، وكانت قد نقضت عهد الصلح أيام معاوية بن أبى سفيان فأبى صلحهم ، وفعل نفس الشيء مع قبيلة هوارة ، وهي من أشهر قبائل البربر . وسار عقبة في فتوحاته حتى فتح بلاد ودان ، وبلاد فزان ، وبلاد خاور وبلاد كاوار ، ونشر الاسلام في ربوعها .

وقد حدث أن استعمل معاوية بن أبى سفيان مسلمة بن مخلد الأنصارى الخزرجي على مصر وافريقية ، وعزل عقبة عن افريقية ، وكان ذلك سنة خمس وخمسين هجرية . فعين مسلمة مولاه أبا المهاجر دينارا على افريقية ، فأساء الأخير عزل عقبة وسجنه ، فظل عقبة في السجن حتى أتاه كتاب من معاوية بن أبى سفيان بالافراج عنه . وعاتب عقبة معاوية فاعتذر له ، وقيل انه وجد معاوية قد توفي . والمهم أنه رجع واليا على افريقية سنة اثنتين وستين هجرية ، من قبل معاوية أو من قبل ابنه يزيد . وكانت الخطوة الاولى بعد ذلك هي سيره على رأس عشرة آلاف فارس الى القيروان ، وغزا أبا المهاجر وقبض عليه واستولى على ماله ، ثم جدد بناء القيروان وعمرها .

وتابع عقبة جهاده في سبيل نشر كلمة الله ، فخرج مع أصحابه وبكثير من أهل القيروان الى المغرب ، ففتح مدينة (باغاية) ومدينة (تلمسان) ومدينة (أربة) ومدينة (تاهرت) ومدينة (طنجة) ، وكاد أن يفتح الاندلس ، لولا أنه رأى أن ينشر الهداية بين البربر في بلاد السوس الادنى والسوس الاقصى .
ورأى عقبة بعد ذلك الرجوع الى القيروان ، واطمأن الى الطريق ، حتى انه أذن لأصحابه بأن يتفرقوا فوجا فوجا ، فلم يكن يدرى أن في عسكره من أضمر له الغدر والخيانة ، ولكن (كسيلة) الذى كان قد أسلم على يدى أبى المهاجر دينار ، وانضم الى جيش المسلمين ، غلبته العزة بالاثم ، فجمع من الروم من جمع ، وغدر بعقبة ، ومن كان معه من المسلمين وكانوا حوالى ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين ، فاستشهدوا جميعا سنة ثلاثة وستين هجرية ، استشهدوا بعد أن أشعلوا — وعلى رأسهم عقبة بن نافع — جذوة الايمان بين سكان افريقية .

أبو المهـــاجر

والقائد الرابع هو أبو المهاجر دينار ، وهو مولى الانصارى مسلمة بن مخلد ، وكان من التابعين . وقد ولى أبو المهاجر ــ كما ذكرنا ــ افريقية بعـد عقبة بن نافع سنة خمس وخمسين هجرية . وكان ذلك مكافأة له من مسلمة بن مخلد . وقد سار أبو المهاجر بجيشه الى قرطاجنة عاصمة الروم فى شـمال افريقية ، فأجبر الروم بعد حصار دام مدة على طلب الصلح . ولكن عبقرية أبى المهاجر الحربية أملت عليه أن يكون الصلح باخلاء جزيرة (شريك) ، وبذا حرم الروم من قاعدة كانت تحتشد فيها جيوشهم لماجمة المسلمين ، وتم تطهير المنطقة من أعداء الاسلام . وكذلك تجلت عبقريته الحربية فى اختيار مدينة (ميـلة) مقرا له ، بعد أن هزم البربر الذين تحصنوا فيها ، وذلك لموقعهـا الوسط بين المغربين الادنى والاوسـط ، فكانت بذلك أحسن مكان لمراقبـة أحوال البربر والروم .

وقد استشهد أبو المهـاجر مع عقبة بن نافع ، ونفر كرام من الصحابة والتابعين بلغ عددهم زهاء ثلاثمـائة سنة ثلاث وستين هجرية بأرض الزاب بـ (تهوذة) ، فخسر المسلمون بفقـده قائدا عظيمـا ، وداعية دأب على نشر الاسلام بالسياسة والمنطق والحجة البالغة .

زهير بن قيس

أما القائد الخامس فهو زهير بن قيس البلوى ، ولد فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، روى عن بعض الصحابة وروى عنه ، وشهد فتح مصر سنة عشرين هجرية تحت لواء عمرو بن العاص . وقد غزا افريقية ووليها ، واستخلفه عقبة بن نافع سنة اثنتين وستين هجرية على القيروان . وقد أراد مقاتلة كسيلة سنة ثلاث وستين ، ولكن صاحبه حنش الصنعانى انشق عليه عائدا الى مصر ، فاضطر زهير الى العودة ، ولـمـا وصل برقة أقام بها .

وبقى زهير ببرقة حتى استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة ، فحشد لزهير جيشا عظيما سار به لمقاتلة الروم فى أفريقية سنة تسع وستين هجرية . والتحم جيش المسلمين بجيش الروم والبربر فى (ممس) ، وانهزم الاعداء وقتل قائدهم كسيلة ، وفتح المسلمون مدينة تونس أيضا . ولقد كانت موقعة (ممس) قصمة لظهر الروم ، اذ قضت على كل آمالهم فى الاستعانة ببعض قبائل البربر والوقوف بهم فى وجه العرب .

ولكن الروم لم ييأسوا وسعوا من ناحية البحر ، وجهزوا مراكبهم وخرجوا من القسطنطينية وجزيرة صقلية ، بعد أن بلغهم نبأ عزم زهير فى العودة الى مصر مع جمع من أصحابه . وأراد الله لزهير الشهادة فلقى الروم فى برقة ، لقيهم بقوة غير متكافئة عددا وجهدا نتيجة سفر طويل شـاق ، ولم يتيسر له الوقت لاعداد خطة عسكرية ، أو لتلقى الامدادات من المشرق ، ولكنه لم يجبن ، واندفع هو ورجاله فى أتون المعركة ، فخسروا أرواحهم ، ونالوا شرف الجهاد وعزة الاستشهاد سنة أحدى وسبعين هجرية .

حسان بن النعمان

والقائد السادس هو حسان بن النعمان الازدى الغسانى . ينسب الى الغساسنة وهم ملوك الشام الذين والوا الامبراطورية البيزنطية قبل الفتح الاسلامي ، ولقد كان حسان من التابعين ، وحدث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان مرموقا عند بني أمية وغيرهم من المسلمين ، وقد أطلق عليه لقب الشيخ الامين . أمره الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين هجرية بالذهاب الى افريقية . ورأى حسان أن يجهز جيشه في مصر ، فجهز أربعين الفا من المقاتلين وسار بهم سنة ست وسبعين هجرية ففتح قرطاجنة وبرقة وطرابلس الغرب . ثم انتصر على الروم أيضا فى مدينتى صطفورة وبنزرت . وبذلك تم للعرب تطهير افريقية من الروم وبعض حلفائهم من البربر فى تلك المنطقة . ولكن المسلمين هزموا أمام البربر بقيادة الكاهنة فى موقعة نينى ، وارتد حسان وجيشه الى القيروان ، وظل حسان يضمد جراحه ، ويبعث فى جيشه العزم ويبث في جنوده روح النصر الى أن أذن الله بأن ترفع راية المسلمين ثانية على أرض افريقية .

موسى بن نصير

أما القائد السابع والاخير فهو موسى بن نصير اللخمى ، ولد سنة تسع عشرة هجرية فى خلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، ونشأ فى بيت يتصل اتصالا مباشرا بالجندية ، تحت رعاية أبيه نصير اللخمى الذى امتاز بالجراة والصراحة والورع . وفي خلافة معاوية بن أبى سفيان تولى موسى بن نصير البحر ، فغزا قبرص ، وبنى فيها بعض الحصون ، وحكمها نائبا عن معاوية ، وشهد موسى معركة مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهرى سنة أربع وستين هجرية ، فلما قتل الضحاك وانتصر عليه مروان بن الحكم ، لجأ موسى الى عبد العزيز بن مروان الذى حماه ، وتوطدت بينهما الصلة بعد ذلك ، وفى سنة خمس وستين هجرية عاون موسى مروان بن الحكم فى تملك مصر ، فلما استعمل مروان ابنه عبد العزيز عليها جعل له موسى وزيرا ومشيرا ، ثم عينه عبد الملك ليكون وزيرا ومشيرا لأخيه بشر الذى كان قد ولاه البصرة والكوفة ، وكان ذلك سنة احدى وسبعين هجرية . ولما مات بشر سنة خمس وسبعين هجرية عاد موسى بن نصير الى مصر عند عبد العزيز بن مروان .

وقد تولى موسى بن نصير افريقية والمغرب فى أواخر سنة خمس وثمانين هجرية ، فكان أول ما فعله أن أكمل استعدادات الجيش ، وناقش مطالب الجنود وساوى نفسه بهم . وسار بعد ذلك بجيشه فاستعاد فتح جبل زغوان ، وجعل من منطقة القيروان قاعدة أمينة لتنفيذ خططه الحربية فى الفتوحات الاسلامية . ومنها أغار على قبائل البربر امثال هوارة وزناتة وكتامة ليؤدبها ، ثم غزا المغرب الاوسط وتبعه بالمغرب الاقصى . وتطلع بعد ذلك الى ولاية طنجة ففتحها بمساعدة مولاه طارق بن زياد ، الذى استخلفه عليها ، حين عاد الى القيروان . وفي طريق عودته فتح مدينة مجانة وكانت قلعة تحصن أهلها مخافة منه . وهكذا خضعت بلاد المغرب جميعها لحكم العرب ، ودخل أهلها الاسلام وتعلم البربر القرآن على أيدى العرب ، وتفقهوا في الدين على أيديهم أيضا ،

وخاصة بعد التصالح على تسليم مدينة سبتة مع يوليان . ثم اهتم موسى بن نصير بالبحر ، فأصاب صقلية ، وفتح احدى مدنها ، ثم بعث عياش بن أخيل ففتح مدينة أخرى هي سرقوسة . وفتح بعد ذلك سردانية وجزيرتي ميورقة ومنورقة وتم له بعد ذلك الفتح العظيم للأندلس بمساعدة طارق بن زياد وعبد العزيز بن موسى .

وفي سنة ست وثمانين هجرية استدعى الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير الى دمشق . وعزل موسى قبل وفاة الوليد بأيام قليلــــة . ولم يكن سليمان بن عبد الملك الذى خلف أخاه الوليد بأقل من أخيه غضبا على موسى بن نصير ، ولذا لم يرده ، الى مكانه فى القيادة .

وبعد ، فهذه حياة سبعة من القادة العامين من قادة العرب المسلمين فى افريقية والمغرب ، عرضناها باختصار من خلال الوقائع التاريخية ، كما وردت فى كتاب الاستاذ اللواء محمود خطاب . وقد عرض الاستاذ اللواء ســـيرهم بأسلوب مشرق جذاب رصين البناء بليغ التراكيب وضع لنفسه منهجا ثم التزمه بكل دقة ، فتناول كل قائد بالحديث عن نسبه ومولده ونشأته ، وعن جهاده فى سبيل الله لنشر دين الاسلام ، وعن حياته كانسان ، وما يتخللها من عواطف انسانية وأحاسيس بشرية ، ثم يضع قيادته فى الميزان ، فيتعرض لها تعرض خبير بالفنون العسكرية ، وأخيرا يضعه تحت مجهر التاريخ وأحكامه الصارمة التى لا تعرف تحيزا أو ميلا مع الاهواء .

وقد تسلح الاستاذ اللواء محمود خطاب أمام الروايات التاريخية بسلاح المؤرخ النزيه الواعى ، فلم يأخذ كل ما كتب قضية مسلمة ، بل قابل الروايات التاريخية ، بعضها ببعض ، وربط بين الخير وبين البيئة الاجتماعية ، وما سرى فيها من ظروف اقتصادية ، وبذا استطاع أن يعرض هذه الحقبة من تاريخ الامة الاسلامية عرضا موفقا . وان اخذ عليه شىء فهو بعض التكرار الذى تمثل فى اعادة بعض عبارات بأكملها سبق له كتابتها فى أمكنة أخرى ، وأحسب أن الذى حمله على هذا هو التشابك الذى حصل فى حياة القادة الذين كتب عنهم .

ولقد خلصت من قراءة كتاب الاستاذ اللواء بحقيقة هامة جدا ، وهى أنه من الواجب الا يكتب تاريخ ابطال الحروب الا من ألم بالثقافة العسكرية ، وتثقف فى تكتيك الحروب ونواحيها الاستراتيجية ، فان المناقشات التى أوردها المؤلف لبعض الانباء الحربية ، وتصويره الدقيق لما يكتنف المعركة الحربية من الجوانب والامكانيات التى كانت فى عهد بطل المعركة ، ليؤيد ما نذهب اليه .

وقد اعتمد الاستاذ اللواء فى اخراج كتابه على مصادر كثيرة ، ولقد كان من الامانة العلمية بحيث لم يترك نبأ تاريخيا عظم أم هزل الا ورده الى أصوله التاريخية . ولقد بلغ من حبه فى الرجوع الى المصادر التاريخية القديمـــة أنه اعتمد عليها كلية حين أراد أن يعرف ببعض الاماكن من الناحية الجغرافية ، وحبذا لو أضاف الى هذه التعاريف آراء كتب الجغرافيا الحديثة ، فان ذلك يتمم الفائدة المرجوة ، خاصة وأن اهتمامه بالجغرافيا — وهى مكملة للتاريخ — جعله يورد احدى عشرة خريطة لينير السبيل أمام القارىء .

وقد ذيل الاستاذ كتابه بفهارس تحليلية دقيقة للاعلام والاماكن والقبــائل والملل والنحل ، تشهد بعظم المجهود الذى بذل فى اعدادها ، وتيسر السبل أمام القارىء الذى يريد أن يرجع الى ما كتب عنها .

ولعلنا — أخيرا — نكون قد وفقنا فى اعطاء القارىء الكريم نبذة عن كتاب عظيم وأرجو أن يتاح لنا تقديم جزئه الثانى ان شاء الله تعالى .

الشباب المريض

شباب بآثامه مولع — يضر البلاد ولا ينفع

تراه مدى الدهر مستهترا — عن الاثم والعار لا يرجع

تفسخ من دينه ملحدا — وصار لأهوائه يخضع

وجافى تقاليد آبائه — فهام على وجهه يهمع

وقلد غيرهمو فانبرى — يعمل ما العقل يستبشع

شباب مريض اذا جئته — تراه بآلامه يصرع

تملكه الشك حتى غدا — بكل الحقائق لا يقنع

وبات باوهامه مثقلا — عن الوهم والهم لا يقلع

يحس الفراغ فتنتابه — مخاوف من ظلها يفزع

شقي غريب بافكاره — شقاؤه من ذاته ينبع

ضعيف جبان فلا غيرة — لديه ، ولا همة ترفع

ثقافته سخف اهل الهوى — فليس الى غيرهم ينزع

في مجتمعاتنا شباب متمرد على تقاليده ، وهذه صورته كما يراها الشاعر ، نسأل الله لهم الهداية ..

« الوعى »

للاستاذ المدني الحمراوي
المستشار بوزارة العدل
المملكة المغربية

وقتل العقول له غاية — عليها مداركه تطبع

يظل ويمسي على لذة — حياته بالاثم مستنقع

تنكر للروح – جهلا – فلا — يصدق دينا ولا يتبع

اذا ما رأى مؤمنا لم يزل — يقول : لمن يا ترى يركع ؟

وكيف يصدق ما لا يرى ؟ — وما الرب ؟ والغيب والمرجع ؟

وهل يعبد المرء من لا يرى ؟ — وهل فيه ذو فكرة يطمع ؟

وما للأنام سوى عيشة — هنا بدؤها ، وهنا تقطع

شباب البلاد ، الا رجعة — الى الحق ؟ أم أنت لا تسمع

الى كم تطاوع اهل الهوى — ويخدعك المنظر الأروع ؟

ويبهرك الغرب فى كل حين — بعيش ، له مظهر يخدع

وباطنه سفه مفرط — وسم زعاف به يفجع

شباب البلاد على حالكم — بكينا ، وهل في البكا مقنع



القسم الثاني

تلخيص لما نشر

« كلفت قيادة جيش التحرير الوطنى فى الجزائر — اثناء حرب التحرير — بالاستيلاء على اعلى قمة فى جبال الأطلس ، واسمها قمة « لالا .. خديجة » وكان قائد الحملة — رزق البشير — وهو اسم لشخصية حقيقية عاشت حرب الجبال ، اكبر اخوانه سنا ، وكان تلميذا لابن باديس ، رئيس جمعية العلماء . وهو على علم بتاريخ بلاده ونضالها . وكان الشباب مغرما بسماع هذا التاريخ منه ، وقد قص عليهم لمحات عن الأصل العربى لأهل المغرب ونضالهم ضد الرومان ، وعن تاريخ سيدى (عقبة بن نافع) الذى دفع رايات المسلمين الى المحيط الأطلنطى .. وفى هذه الأثناء دارت معركة بين هذه المجموعة المناضلة ، وطائرة فرنسية استشهدت فيها الشاعرة « رضا » واسقطت طائرة العدو » .



— ١ —

رزق البشير : عبـدون .. هـل وضعت الألغام عند الطريق فى سفح الجبل . فلا بد أن العدو سوف يرسل حملة لاسترداد القمة ، بعد أن يعرف ما حدث .

عبدون : نعم .. وكشفت أيضـا طريق انسحابنا من الجنوب اذا تجاوز العدو منطقة الألغام .

البشير : عندما يعود زميلنا محمد بن المهدى ، بعد ان تصل زهرة وامينة الى بر الأمان سـوف أذهب معـه بدورى لنكشف الطريق الخلفى ، حتى نعرفه جميعا . وقد أبلغت قيادتنا بما حدث .. وأنا فى انتظار تعليماتهـا بجهاز اللاسلكى .

صوت : (دقات اللاسلكى) ..

البشير : اكتب يا عبدون .

عبدون : (يقرأ قراءة متقطعـة) عزاؤنا فى الشهيدة العزيزة رضا .. سنجمع اشعارها فى كتاب .. وافونا بما عندكم منه .. حافظوا على قمة « لالا .. خديجة » من اجل الوطن .. ومن أجل الشهيدة رضا .. خـذوا سلاح الطائرة التى سقطت ان كـان سليما — القيادة .

البشير : نعم سنحافظ على القمة العالية .. وانت عندما تذهب لاحضار الطعام من امينة وزهرة ، حاول أن تصل مع ابن المهدى الى مكان الطائرة للمعاينة .

صوت : (يسمع صوت صفـارة طويلة ..) .

عبدون : هذه اشارة ابن المهـدى .. لقد حضر .

محمد بن المهدى : عادت أمينـة وزهرة للبلد بقلـب كسيـر .. ان

الشهيدة رضا ، كانت العصفور المفرد ، ولم تعد معهما .

البشير : انها معنا دائما . . ان أرواح شهدائنا تعيش معنا . . اقول لكم الحق . . ان أرواح أجدادنا معنا في كل لحظة يا أولادى .

ابن المهدى : انا احب الآن جيلنا هذا ، اكثر من كل يوم مضى . . يا عم البشير انت سارح فى مكان بعيد . . يا ترى اين ؟

البشير : والله فكرى وخيالى الآن مع موسى بن نصير . . مع طارق بن زياد . . مع آل رستم . . مع الادارسة مع آل الأغلب العظام الذين علموا أوروبا الشىء الكثير .

ابن المهدى : كيف علمناهم . . هل جاءوا الى بلادنا .

البشير : لقد ذهبنا نحن بجيوشنا وأساطيلنا البحرية وعلمائنا اليهم . . استولينا على جزيرة مالطة ــ ونصف كلامها عربى الى الآن ــ واستولينا على صقلية ، ودخلنا ايطاليا من عند مدينة بارى الحالية . . وكان البابا يدفع جزية سنوية ، ليتفادى غزو روما نفسها ، وذلك فى أوائل القرن الثالث .

عبدون : وأظن جاءت دولة الفاطميين بعد ذلك .

البشير : نعم . وقد جمعت هذه الدولة المغرب مع مصر تحت راية واحدة . . وأهم من هذا أن الحكم العربى وصل جنوبا الى بحيرة تشاد وانهار النيجر والكونجو ، وأصبحت افريقية مع الأندلس مركز حضارة عظيمة .

عبدون : معنى هذا أن الاسلام دخل غرب افريقية ، ووصل الى خط الاستواء فى وقت مبكر .

البشير : . . نعم . . نعم . . والفضل فى ذلك للأمراء المرابطين ، الذين أسسوا دولة السنغال ، ومدوا وجودهم جنوب الصحراء الكبرى الى المحيط . ولم يكن مضى على ظهور الاسلام غير خمسة قرون . . أين زميلنا ابن المهدى ؟

ابن المهدى : كل شىء هادىء فى الطرف الغربى ، وان كنت أشم بأنفى رائحة العدو من بعيد على بعد أميال . . ماذا كنتم تقولون ؟

البشير : عبدون يقص عليك دور الجزائر القديم فى الوصول بالاسلام الى أفريقيا كلها . . والآن جاء دور الحفصيين .

عبدون : متى حكموا ؟

البشير : من ٧٥٠ سنة تقريبا . . وقت أن كان الصليبيون بقيادة لويس التاسع يهاجمون دمياط ، وقد حبسه المصريون فى المنصورة . وبعد أن عاد مخذولا ، فكر فى أن يجدد حملته عسى أن يظفر بالنصر .

محمد بن المهدى : وهل ذهب الى الشرق مرة اخرى .

البشير : لا . . جاء باسطوله وسفنه وجيوشه الى هنا . . الى بلادنا !!

عبدون : عجيب . . وماذا حدث ؟

البشير : هزمناه . . ولم نأخذه هذه المرة أسيرا ، ولكن دفناه مع جيشه تحت أرضنا . .

عبدون : . . وهكذا ربط التاريخ منذ الأزل بين مصر والجزائر فى معركة واحدة .

البشير : ولم تكن الحرب وحدها هى صناعتنا . . فمن ٦٠٠ سنة ، أقام ابن خلدون المفكر العظيم فى قلعة بنى سلامة ، جنوبى وهران ، وكتب مقدمته المشهورة . .

والآن هيا بنا نكشف طريق الجبل الجنوبى ، وفى وقت آخر اقص عليكم قصة اعظم رجال البحر فى تاريخنا كما أوصتنا الشهيدة رضا ..

الجميع : رحمة الله على الشهيدة الف رحمة ...

عبدون : سوف انزل لاحضار صندوق الطعام من أمينة وزهرة ، وتعليمات القيادة ..

البشير : احذر من موضع الألغام ..

● ● ●

— ٢ —

صوت : (ريح تهب هادئة .. مع موسيقى خفيفة)

عبدون : (محدثا نفسه) .. نتوكل على الله ، وننزل

صوت : (صفارة طويلة رفيعة ..)

عبدون : (يمسك سلاحه فى سرعة .. ويحدث نفسه) لا بد أن العدو عرف مكاننا واشارتنا .

أمينة : عبدون .. عبدون .. لا داعى للسلاح !.

عبدون : (فى دهشة) أمينة .. ماذا جاء بكما ؟. التعليمات الا تحضرا الى هنا مرة أخرى .. وكيف نجوتم من الألغام .

زهرة : رأينا مكانها وأنت تضعها ، وتفاديناها .. وقد جئنا ببعض الزهور البرية نضعها على قبر اختنا رضا .. كانت تحب هذه الزهور .

عبدون : وما هذا الحبل الذى فى ايديكم ؟

أمينة : ساعدنا .. لقد ذهبنا الى مكان الطائرة وأحضرنا منها السلاح السليم ؟!

عبدون : يا الهى .. هذه مخاطرة عظيمة .

زهرة : وجدنا فى جيب قائد الطائرة مفكرة لم تحترق ، وفيها كلام كثير ، ربما تستفيد منه القيادة .

عبدون : البشير ، وابن المهدى قد وصلا .

البشير : (يرى الفتاتين) ماذا ارى ؟ زهرة وامينة هنا مرة أخرى ؟!!

أمينة : واحضرنا تعليمات القيادة وسلاح الطائرة .. هدية مناسبة .

رزق : بلد فيه نساء مثلكن لن يهزم باذن الله أبدا . سادخل المغارة لأنام قليلا .

● ● ●

صوت : (دقات ساعة متوالية ..)

صوت جماعى منخفض : الله ينصر سى خالد .. الله ينصر سى خالد .

البشير : (يظهر من المغارة فى دهشة) يا له من حلم .. كأنى كنت اسمع هتافا قديما ايقظنى من النوم .

الصوت الجماعى : (كالسابق) الله ينصر سى خالد .. الله ينصر سى خالد .

زهرة : أنا أصغركم يا عم البشير .. ما حكاية سى خالد هذه .

البشير : تسمعونها ، أم تسمعون ابطال البحر .

الفتاتان : (فى صوت واحد) الاثنين .

البشير : امرى لله .. الأمير خالد يا أولادى هو حفيد بطلنا العظيم ، الأمير عبد القادر الجزائرى ، وفى

مرة رشح نفسه فى الانتخابات البلدية لمدينة الجزائر .. وكانت هذه فرصة للشعب يعبر عن نفسه بهذا الشعار : الله ينصر سى خالد . فجن جنون الاستعمار .

زهرة : ماذا عمل ؟

البشير : اصدر قرارا بأن الأمير خالد الجزائرى ليس جزائريا ، وحرموه من حق الترشيح ، ولكن الشعار ظل باقيا علامة المقاومة الوطنية .

الجميع : الله ينصر سى خالد .. الله ينصر سى خالد ..

ابن المهدى : وحكاية أبطال البحر ؟

البشير : نعم يا اولادى .. من ٤٥٠ سنة استولى الأتراك العثمانيون على مصر ، وانتقلت اليهم الخلافة . فطلبت الجزائر أن تنضم تحت راية الخلافة ، وهى أول مرة ترضى بلد بهذا الانضمام الاختيارى . وفى هذه الفترة كان المسلمون فى الأندلس يشهدون أيامهم العصيبة الأخيرة ، فى وجه موجة من المظالم التى لم يسمع بمثلها .

عبدون : محاكم التفتيش !

البشير : نعم .. وحتى يساعدهم المسلمون ، ذهب اثنان من قواد البحر العثمانيين ، بابا عروج ، وأخوه خير الدين ، على رأس حملة بحرية ، لانقاذ المسلمين فى الأندلس ونقلهم الى افريقية . ووقعت بعض بلاد ساحلنا فى أيدى الاسبان ، فساعد الاخوان على طرد الاسبان منها .. ولم تبق الا المؤامرة ، فقد كان بابا عروج فى بلدة تلمسان ، ففاجأه الاسبان وقطعوا راسه ، وطافوا بها جميع مدن اسبانيا .

امينة : يظهر أن غلهم منه لم يشف الا بهذه الطريقة .

البشير : وواصل أخوه خير الدين العمل ، وحصل من السلطان سليم الأول على مدد ، صد به هجوما اسبانيا طليانيا فرنسيا عن شواطئنا يشبه الهجوم الصليبى على بلاد المشرق تماما ، وكان ذلك فى القرن السادس عشر .

زهرة : اى ان أوربا كلها كانت ضدنا ..

البشير : ونضيف لهؤلاء المانيا . فقد أرسل امبراطورها شارل الخامس حملة هائلة لاحتلال الجزائر ولكن الجزائر تحت قيادة حسن بن خير الدين هزمتهم . وذلك بعد أن استدعى السلطان العثمانى خير الدين وعينه قائدا عاما لاسطوله .

عبدون : وماذا حدث بعد ذلك .

البشير : حدث أمر لا يدور على خاطر انسان .. اخذت الجزائر تعد مشروعا كبيرا لاستعادة الأندلس بعد تخليص البلاد من مواطىء اقدام الاسبان .

زهرة : هذا مشروع ضخم .

البشير : وعرف البابا فى روما بالأمر ، فحشد أكبر تجمع أوروبى ، وضم كل أساطيل الدول الأوروبية تحت قيادة واحدة ، وهاجم الأسطول العثمانى فى بلاد اليونان . ولكن الجزائر كونت أسطولها ، واخذت تهاجم ، وتتحكم فى الطرق البحرية للبحر المتوسط ، حتى أن الشاعر الاسبانى سيرفانتس وقع فى أسرنا .

امينة : الذى الف قصة دون كيشوت ؟..

البشير : نعم .. وظل فى أسرنا سنوات .. وظلت دول أوربا تدفع جزية ، ورسوم مرور للجزائر . ولما أرادت الولايات المتحدة أن تقتحم البحر المتوسط عنوة ، فى عهد جورج واشنطن ، خرجت لها سفن الجزائر

فى المحيط الأطلنطى ، ولقنتها درسا ، فاضطرت الى دفع الجزية أسوة بغيرها ، وكانت جزيتها مليون دولار فى السنة .

عبدون : ومتى كان هذا ؟

البشير : فى العام الذى كانت مصر فيه تهزم حملة الانجليز بقيادة فريزر ، كانت الجزائر تهزم أسطول الولايات المتحدة وذلك من عام ١٨٠٥ الى عام ١٨٠٧ م .

زهرة : لقد ملأنا هذا التاريخ فخرا بأجدادنا وبلادنا .

البشير : والآن يا بناتى انزلوا .. وعليك يا امينة أن تلبسى ملابسك الوطنية ، وتسلمى مفكرة الضابط الفرنسى للقيادة عن طريق نقطة الاتصال .

امينة : لا داعى لان يصحبنا احد ، فقد عرفنا الطريق .

● ● ●

— ٣ —

عبدون : يا جماعة .. يا جماعة لمحت بالنظارة نقطا سوداء تتحرك .. العدو يتقدم نحونا من ناحية السفح الشرقى .

البشير : كم يمر من الوقت على وصولهم لمكان الألغام ؟

عبدون : خمس دقائق .. هذا محمد بن المهدى .

ابن المهدى : رأيتهم أيضا قادمين من الطريق الجنوبى .

البشير : اذن سدوا طريق انسحابنا .. حسنا .. بكم تقدرون عددهم ؟

عبدون : حوالى ٢٠٠ عسكرى وضابط نصفهم فى الطريق الأمامى والباقى من الخلف .

البشير : عبدون وابن المهدى انتبهوا للطريق الأمامى ، وانسفوه عند وصولهم تماما .. وسأذهب أنا لنسف الطريق الجنوبى كله بالقنابل اليدوية .

عبدون : وحدك ؟. سوف تنهار عليك الصخور .. ان اى انفجار فى الجنوب يؤدى الى هذا .

البشير : حسنا يا بنى .. وماذا يحدث أن اذهب أنا الى لقاء ربى ، ومعى مائة من اعدائنا . .سأسوقهم مكبلين بظلمهم أمام عزة الله وجلاله .

صوت : (كلاب تنبح من بعيد) .

البشير : لقد اقتربوا .. استودعكم الله .

عبدون : سوف آتى

البشير : ولا كلمة .. نحن فى معركة (يعانقهم) .

عبدون ــ ومحمد بن المهدى : مع سلامة الله .. كتب الله لك السلامة

البشير : ولكم يا أولادى .

عبدون : بقيت ستون ثانية على اشعال فتيلنا .. هيا أشعل .

صوت : (انفجار ضخم . .وانهيار متكرر .. وصيحات جنود وعواء كلاب) .

ابن المهدى : هذه قنابل عمى البشير .. يا له من بطل .

صوت : انفجار ثان ..)

عبدون : ونجحنا نحن أيضا والحمد لله .

صوت : لاسلكى .. دقات متوالية .

عبدون : بلاغ من القيادة .. اليوم ٣ يوليو سنة ١٩٦٢ تنزل جميع أعلام فرنسا .. وترتفع أعلام الجزائر .. يوقف القتال فى جميع الميادين .

ابن المهدى : هذا علمنا .. نرفعه .. نرفعه عاليا .. فوق « لالا .. خديجة » .

الصدى : (يدوى) « لالا .. خديجة ــ لالا .. خديجة » .

الفتاوى

السؤال :

١ — هل تجب الزكاة على الاوراق النقـدية المتداولة بين الناس وهل ما يجرى عليها يجرى على الشيكات ؟

٢ — هل يجوز لخطيب الجمعة ان يخطب بغير العربية ان كان المصلون لا يفهمون العربية ؟

٣ — هل يجوز الاقتداء بالامام عن بعد بواسطة صوت المبلغ ؟

(م٠ ا — السودان)

الاجابة :

□ عن الاوراق النقدية وهى المعروفة (بالبنكنوت) فان التعامل بها من قبيل الحوالة على البنك فمالكها يملك قيمتها دينا على البنك والبنك مدين قوى ومستعد للدفع فورا ، ويمكن صرفها فضـة أو ذهبا فيجب فيهـا الزكاة . أما الشيكات فمنها ما هو على البنك بمعنى أن البنك مستعد لدفعها فورا وهذه تأخذ حكم الاوراق النقدية ، ومنها ما هو على الافراد الذين لهم حسابات بالبنك وهذه لا تدفع زكاتها الا اذا قبض قيمتها من البنك فعلا أو أضيفت الى حسابه ان كان له حساب فى البنك .

ومن ثم فيجب فى الاوراق النقدية والشيكات . الزكاة بشرط أن تتوافر فيها شروط الزكاة من تكامل النصاب وحولان الحول وفيها ربع العشر .

□ أما عن خطبة الجمعة : فقد ذهب الاحناف الى أن خطبة الجمعة تجوز بغير العربية ولو لقادر عليها سواء كان القوم عربا أو غيرهم ، وقال الحنابلة لا تصح الخطبة بغير العربية ان كان قادرا عليها ، فان عجز عن الاتيان بها أتى بغيرها مما يحسنه سواء كان القوم عربا أو غيرهم ، لكن الآية التى هى ركن من الخطبة لا يجوز له أن ينطق بها بغير العربية ، فان عجز سكت بقدر قراءة الآية ، وقال الشافعية : يشترط أن تكون أركان الخطبتين باللغة العربية ولا يكفى غيرها متى أمكن تعلمها فان لم يمكن خطب بغيرها هذا اذا كان القوم عربا أما ان كانوا عجما فانه لا يشترط أداء أركانهما بالعربية مطلقا ما عدا الآية فلا بد أن تكون بالعربية ، فان عجز فعليه أن يثبت بقدر قرار الآية .

□ أما عن الاقتداء عن بعد : فانه متى اتحد المكان وتمكن المأموم من ضبط انفعال امامه رؤية أو سماعا ، صح الاقتداء ، وصحت صلاته بشرط الا يكون بين الامام والمأموم حائل .

السؤال :

عندما أقوم بتأدية الصلوات الخمس جماعة او منفردا اتضايق من انفلات الريح ، فقد يؤدى احيانا الى انتقاض وضوئى وانا فى الصــلاة ، وقليل جدا التغلب على هذا ، علما بانى اتوضا لكل صلاة ويحدث هذا عندى بنسبة لا تقل عن ٨٠ أو ٨٥٪ .

فما حكم صلاتى فى هذه الحالة ؟

(ع٠ س — جدة — المملكة العربية السعودية)

الاجابة :

لا حرج ولا مشقة فى الدين قال تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وقال : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » والقاعدة الاصولية « الضرورات تبيح المحظورات » فكل شىء فيه عسر وحرج لا يجب على المكلف فعله ، ومن ذلك المرضى بسلس البول الذين يتقاطر البول منهم معظم الوقت أو كله ، وكالمرضى بانفلات الريح الى غير ذلك من الامراض التى لا يمكن التحرز منها ، فهؤلاء يعاملون فى الوضوء وسائر أنواع الطهارة معاملة خاصة تتناسب مع امراضهم وتجعلهم يتمكنون من القيام بما هم مطالبون به من فرائض .

ولقد ذهب جمهور من العلماء الى أن المعذور يجب أن يتوضأ لوقت كل صلاة ولا ينتقض الوضوء الا بناقض آخر غير الحدث المريض به ، كما يجب عليه الموالاة بين افعال الوضوء بعضها مع بعض وبين الوضوء والصلاة ، وأن تكون الاعمال كلها بعد دخول الوقت . وله أن يصلى بالوضوء الواحد مع الفريضة ما شاء من النوافل قبل وبعد — وينوى عند الوضوء الاستباحة لا رفع الحدث لأن وضوءه لا يرفع حدثا وانما يبيح له العبادة فقط .

السؤال :

توفى رجل عن : أخ لأب ، ثلاث بنات ، زوجة ، ابن اخ شقيق . فما نصيب كل وارث ؟

(أ ٠ م ٠ غ — عدن الجنوب العربى)

الاجابة :

بوفاة المتوفى المذكور عن المذكورين يكون توزيع تركته على النحو التالى : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الثلثان فرضا بالتساوى بينهن — والباقى للأخ لأب تعصيبا ، ولا شىء لابن الأخ الشقيق لكونه أنزل درجة من الأخ لأب ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين يكون على المتوفى .

السؤال :

توفيت امرأة عن : زوج هو ابن عم شقيق لها ، وابناء عم شقيق غير زوجها ثلاثة ذكور وثلاث بنات .

فما نصيب كل وارث ؟

(خ ٠ ع ٠ م)

الاجابة :

بوفاة المرأة المذكورة عن زوجها وأبناء عمها المذكورين ، يكون توزيع تركتها على الوجه الآتى :

للزوج النصف فرضا لعدم الفرع الوارث ، والباقى وهو النصف لأبناء عمها الاربعة بما فيهم زوجها ما داموا بدرجة واحدة تقسم بينهم مرابعة تعصيبا ولا شىء لبنات الاعمام لأنهن من ذوى الارحام ، فالزوج يأخذ النصف بطريق الفرضية وربع النصف الباقى بطريق التعصيب ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين . والله اعلم .



مرور (١٤) قرنا على نزول القرآن الكريم :

تميز شهر رمضان هذا العام على رمضانات السابقة التى عاشتها الأجيال المسلمة المعاصرة — بأنه كان متمما للقرن الرابع عشر على بدء نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد احتفلت الأقطار الاسلامية بهذه الذكرى العزيزة الغالية ، فكتب الكتاب فى الصحف والمجلات ، وتحدث المتحدثون فى الاذاعة والتلفزيون عن القرآن الكريم وأثره فى حياة البشرية ، وكان طابع الكتابة والأحاديث طابعا وصفيا تاريخيا . لم يتجاوز هذه العبارات المألوفة (كان العرب قبل الاسلام فأصبحوا بالاسلام .. وكانت البشرية قبل القرآن ثم صارت بعد القرآن) وأحيانا يناشد الكاتب والمتحدث المسلمين العودة الى كتاب الله فى كلمات مجملة طالما رددها خطباء الجمعة .

ومرت الذكرى وانتهت الاحتفالات كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر ، وقد كنت أتوقع أن يسفر الاحتفال بهذه الذكرى عن نتائج عملية ايجابية فى واقع المسلمين وحاضرهم فما رأيكم ؟ وهل فاتت الفرصة ، وماذا تقترحون ؟

(م — س — طالب بمعهد الكويت الدينى) .

....

كانت هذه المناسبة يا سيدي ولا تزال فرصة مواتية أمام الغيورين على الاسلام والمسلمين للقيام بعمل أكثر جدية وايجابية من كل ما نشر أو قيل ، ومن كل ما ينشر أو يقال مما يتسم بطابع التمدح بالأمجاد والتغنى بجهود السابقين ، وترداد كان وكنا ، والاكتفاء بالجمود والتلفت الى الوراء دون التحرك والتطلع الى الامام ، ولعل ذلك راجع فيما يبدو الى أن التنبه الى هذه الذكرى جاء متأخرا ، ومن ثم لم يكن الوقت كافيا لاخراج الاحتفال بها اخراجا يتناسب مع ما لها من مكانة ومنزلة ، وما يتكافأ معها من ثمار ونتائج . على أن هذه الفرصة كما قلت لم تنته بعد وأنها لا تزال سانحة أمام المسلمين للقيام بعمل ايجابى يغير حاضر المسلمين ويتغلغل فى صميم حياتهم ..

وقبل أن يستطرد بنا الحديث ونتورط فيما تعيبه يا سيدى من الوقوف عند القول المجرد الذي لا يلبث أن يتبخر فى الهواء — نؤكد أن العمل المرجو لا ينهض به فرد أو أفراد ، وانما يحتاج الى جهود متواصلة يتوفر عليها جماعات وهيئات علمية ضخمة على مستوى اسلامي عالمي . وهذه الهيئات التي

يشترك فيها أقطاب الفكر الاسلامى تجتمع على هيئة مؤتمر . ينقسم الى عدة لجان : لجنة الاقتصاد الاسلامى ، ولجنة القانون الاسلامى ، ولجنة التربية الاسلامية ، ولجنة الحكم الاسلامى . .الى غير ذلك من اللجان التى يقررها المؤتمر لتسد حاجة المجتمع الاسلامى النظيف ، ويعهد الى كل لجنة من هذه اللجان بانجاز مشروع محدد المواد واضح الأهداف متلائم مع تطور الحياة مستقى من الكتاب والسنة ، ويقوم هذا المؤتمر بعد انجاز هذه المشروعات برفعها الى الحكومات الاسلامية المختلفة لتطبيقها وتنفيذها .

هذا نموذج لما أراه واجبا على المسلمين فى كل وقت وخاصة فى هذه المناسبة الكريمة ، وفى هذه الظروف التى يعانى فيها المسلمون مرارة الانحراف عن كتاب الله ، ولدى الغيورين على الاسلام ، والمسلمين مناهج جادة متنوعة للاحتفال بهذه المناسبة المزيزة التى لا تتاح الا لأحفادنا وأحفاد أحفادنا .

الحجر الأسود ومقام ابراهيم :

وردا على رسالة مستفيضة من النيجر بعث بها الأخ محمد الهادى استودعها أشواقه مع عدد من اخوانه لأداء فريضة الحج هذا العام وزيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، واستفسر فيها عن أصل الحجر الأسود وعن مقام ابراهيم وهل يضم رفاته كما يشيع عندهم نقول لصاحب الرسالة :

انه قد وردت عدة روايات مختلفة فى الحجر الأسود : قيل جاء به جبريل عليه السلام من السماء ، وقيل جاء به من الهند حيث هبط به آدم من الجنة ، وقيل أحضره من جبل قبيس ، ويروى أنه كان أبيض ناصعا يكاد سنا ضوئه يخطف الأبصار ، فسودته انجاس الجاهلية وخطايا الناس ، وليس فى وسع المؤرخ المحقق أن يقطع بشىء من هذا الروايات .

وجاء فى قصة بناء البيت التى رواها المؤرخون على وتيرة تكاد تكون واحدة أن ابراهيم عليه السلام زار ابنه اسماعيل للمرة الثانية بعد أن شب وتزوج ، وقال له : يا اسماعيل أن الله أمرنى أن أبنى بيتا هنا ، وأشار الى اكمة مرتفعة عما حولها ، وتعاون الوالد والولد على البناء ، فكان اسماعيل يجىء بالأحجار وابراهيم يبنيها حتى ارتفع البناء الى قرابة قامة الرجل ثم جاء جبريل بالحجر الأسود ووضع مكانه .

وأما مقام ابراهيم فقد ورد عنه فى القرآن الكريم قول الله تعالى « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وقوله سبحانه « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم .. » .. وليس مقام ابراهيم هذا قبرا يضم رفات الخليل عليه السلام ، وانما هو ـ كما قال ابن كثير ـ الحجر الذى استعان به على رفع قواعد البيت وجدرانه حيث كان يقف ، ويناوله ابنه اسماعيل ، وقد كان ملتصقا بجدار البيت حتى أخره عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى امارته الى ناحية الشرق ليتسع المكان للطائفين .

ونظرا لتضاعف عدد من يؤم البيت الحرام لأداء فريضة الحج اضعافا مضاعفة عما كان عليه فى الماضى حتى أصبح المسجد الحرام يضيق بالوافدين على رغم من التوسعة العظيمة الأخيرة ، وهذا الزحام يشتد فى الجزء الذى يقع فى المكان بين الحجر الأسود وبين مقام ابراهيم ، رأت المملكة العربية السعودية ـ تحت هذه الضرورة الملحة ـ حل هذه المشكلة ، فأزالت البناء القائم على بناء ابراهيم ، ووضع بدلا منه صندوق بلورى قوى سميك على قدر الحاجة فقط وبارتفاع مناسب لئلا يتعثر به الطائفون ، وقد نفذ هذا العام ، وأقيم بهذه المناسبة احتفال فخم مهيب .

باقلام القراء

الاقتصاد التعاوني في الاسلام

جاء في مقال للأستاذ عبد الحميد الحلبي بالمصرف الصناعي بحلب بهذا العنوان ما يلي :

يقوم الاقتصاد التعاوني في الاسلام على مبادىء ديموقراطية بناءة لتحقيق العدالة الاجتماعية بين الافراد وفق مبادىء الحرية الفردية المنظمة ، بعيدا عن جشع النظام الرأسمالي ، وتطرف النظام الشيوعي ، وكلمة تعاون محببة للنفس البشرية ، جميلة في لفظها ، جليلة في معناها ومغزاها ومرماها ، ولذلك سطعت شمس هذا النظام مع بزوغ فجر الحضارة الانسانية ، واستمد قوته من اشهار سلاحه في وجه الانانية الفردية ، وهو في الوقت ذاته سبيل الى التقارب في النفوس ، والتآلف في الشعور الموحد ، وبث الروح التعاونية الجماعية واستثمار كامل للطاقات والجهود الانسانية الصادقة في خدمة الخلية الاجتماعية ، وصهر القطاع العام والقطاع الخاص في قالب واحد يعاضد بعضه بعضا .

ويمكن تلخيص بنيان الاقتصاد التعاوني في الاسلام بما يلي :

١ — اعتبار المال الصالح قوام الحياة وعصبها الحساس ، ووجوب الحرص عليه ، وحسن تدبيره وتثميره بما يعود على المجموع بالخير والسعادة .

٢ — كفاية المحتاج بتأمين وسائل الكسب الطيب من أفراد وجماعات ومؤسسات وجمعيات .

٣ — تحريم موارد الكسب الخبيث ، حتى لا تفسد النفوس ، وتأكل لحوم أبنائها .

٤ — تقريب التفاوت بين الطبقات ، بحيث يقضى على الثراء الفاحش والفقر المدقع .

٥ — الضمان الاجتماعي لكل مواطن ، وتأمين حياته والحرص على سعادته .

٦ — فرض التعاون بين جميع المواطنين ، والحث على الانفاق في الوجوه المشروعة .

وبذلك يكون الاقتصاد التعاوني الاسلامي هو النظام الوحيد الذي استطاع — بكل هدوء وحكمة ورزانة — أن يوجه الشعب توجيها كريما انتاجيا يحفزه لاستخراج المكنونات والطاقات المستترة ، واثارة المواهب الانتاجية وبالتالي توزيعها على الافراد توزيعا عادلا يؤمن رفاهية جميع أفراد الدولة من مسلمين وغيرهم ، حتى لم يبق في الدولة الاسلامية الرهيبة فقير يقبل الصدقات ، فانهارت الطبقات بنفسها ، واصبح المجتمع الاسلامي الكبير اشبه بالطبقة الواحدة المتراصة الاجزاء والاطراف .

التيار الغربي واثره على المجتمع الشرقي

وتلقينا من الاستاذ محمد احمد محمد ابراهيم مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

كان للتيار الغربي اثر كبير على مجتمعنا الشرقي ، فغير في افكار البعض

وعقائد الآخرين مما نتج عن ذلك تفسخ أخلاقي ، وانحطاط في السلوك لدى بعض شبابنا وشاباتنا ، ولقد كان للمرأة النصيب الاوفى في ابراز ودعم وتزيين هذا التيار لما يكمن فيها من مظاهر الاغراء والجاذبية .

ان فضائح الغرب الجنسية التى هزت الانسانية هزا ، لهي اكبر حجة ممكن أن تلقيها على مسمع فتياتنا الشرقيات وعلى الاخص العربيات حفيدات خولة والخنساء (ها هى ممثلة الاغراء العالمية التى قامت بدور البطولة فى كثير من الافلام العالمية وقد حصلت على شهرة لم تحصل عليها ممثلة مثلها ، نجدها تمر فى مأساة مرة وحادة نغصت عليها عيشها واقضت مضجعها وحرمتها من نعيم الحياة الباذخة ولذة المجد) .. تجدها تكتب وصيتها الى كل فتاة تطلب المجد عن طريق السينما والشاشة البيضاء .. « احذرى المجد .. احذرى كل من يخدعك بالاضواء .. اني أتعس امرأة على هذه الارض .. انى امراة افضل البيت .. الحياة الشريفة على كل شيء .. ان سعادة المراة الحقيقية فى الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، بل ان هذه الحياة العائلية لهي رمز سعادة المراة » . وتقول في نهاية وصيتها « لقد ظلمنى كل الناس .. وان العمل في السينما يجعل من المراة سلعة رخيصة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة .. انى أنصح الفتيات بعدم العمل في السينما والتمثيل ان نهايتهن كنهايتي ان كن عاقلات » .. وانتحرت تخلصا من العار وهروبا من الفضيحة والحياة التعيسة لأنها لم تستطع أن تحقق لها سعادتها . فهل تعى ذلك بناتنا ونساؤنا .

العالم الاسلامى غنى

وكتب السيد عبد اللطيف الخميس من تطوان تحت هذا العنوان يقول :

يشكل المسلمون ٢٢٪ من سكان العالم تقريبا ، والقارة الوحيدة التى يمكن أن تسمى قارة اسلامية هى افريقيا لأن فيها ما لا يقل عن (١٥٠) مليون مسلم من مجموع السكان البالغ عددهم (٢٥٠) مليون نسمة ، وفضلا عن الطاقات البشرية الهائلة للمسلمين فان بلادهم تعتبر من أغنى بلاد العالم وأوفرها ثروة ، وعلى الرغم من الفترة الطويلة التى رزح المسلمون فيها تحت نير الاستعمار فانهم يقومون بدور فعال فى اقتصاديات العالم ، وفى الارقام التالية التى اخذ معظمها من بحوث واحصائيات الامم المتحدة لسنة ١٩٦١ اكبر دليل على أهمية هذا الدور وايجابيته .

٢٦ ٪ من نفط العالم يستخرج من البلاد الاسلامية .
٩٠ ٪ من نفط روسيا يوجد فى الاقسام الاسلامية جنوب تركستان .
٦٦ ٪ من نفط العالم الذى لم يستخرج موجود فى البلاد الاسلامية وخاصة الكويت والسعودية وايران والعراق .
٧٠ ٪ من المطاط الطبيعى يستخرج من الملايو واندونيسيا ونيجيريا .
١١ ٪ من الالومنيوم .

ومع أن رقعة الوطن الاسلامى اكثرها صالح للزراعة ولم يستصلح منها الا القليل فاننا ننتج :

٩٣ ٪ من التمر ، ٥٦ ٪ من زيت البلح ، ١٠ ٪ من الحنطة ، ١٤ ٪ من الارز ، ١٣ ٪ من الذرة الصفراء ، ٧٣ ٪ من الشعير ، ٢٣ ٪ من الكاكاو ، ١٠ ٪ من الشاى ، ٥ ٪ من البن ، ٢٤ ٪ من الفول السودانى ، ٩ ٪ من السكر ، ١٣ ٪ من القطن .

وتستخرج كذلك (٥٠٤١٠٠٠) متر مكعب من الغاز الطبيعى و (٦٦٠٣٠٠٠) طن من الفحم ، و (٣٧٥٠٠٠) طن من الحديد .

قالت صحف العالم

نشرت مجلة (القبس) الجزائرية مقالا بهذا العنوان جاء فيه :

ان المسلمين الأوائل لم ترهبهم قوة الفرس ولا قوة الرومان عندما آمنوا بعقيدتهم واعتمدوا على انفسهم مجابهين لأكبر القوى البشرية والمادية فى ذلك الوقت ، انهم كانوا يعتزون ببساطتهم ويثقون بأنفسهم وهم يعلمون أن العدو اكثر علما وعددا وتنظيما ، وانما شعور المسلم بمسؤوليته فى المجموعة التى ينتمى اليها واعتماده على امكانياته الذاتية هو الذى حقق له الانتصار والسيادة فى ذلك التاريخ ، ولذلك عندما بدأ المسلم يفكر فى نفسه ويعتمد على غيره ويحاول أن يعيش هو لا أن يعيش الآخرون من بنى مجتمعه كانت الكارثة على يد الذين جاءوا معتمدين على أنفسهم وهم التتار فى كارثة بغداد عندما كان خليفة المسلمين فى ذلك الوقت يقول : ان بغداد تكفينى وأسرتى ولم ينتبه الا وقد ذهب هو وأسرته وبغداد أيضا ، وانهار نظام اجتماعى كامل نتيجة للتواكل والاعتماد على الغير والتهاون بالمسئولية فى المجتمع .

واذا نحن لم نتعظ بالتاريخ البعيد فلننظر الى تاريخ بلادنا الى ثورة نوفمبر بالذات ان اسباب النصر فيها كانت ذاتية اكثر منها خارجية أن الذين بداوا الثورة فى أول نوفمبر ببنادق الصيد ضد الجيش المجهز بالمدافع والدبابات والطائرات وكل وسائل الحروب المادية والنفسية لو لم يكونوا قد اعتمدوا على امكانياتهم الذاتية وايمانهم العميق بالنصر وانتظروا الى أن يصبحوا فى مستوى الجيش الذى يريدون محاربته لما بدأت الثورة ولما تحررت الجزائر اليوم ، وهذا هو الذى نشاهده فى كل محاولة للانتصار .

....

اليهود .. اليهـود ..

ومن مقال نشرته مجلة « حضارة الاسلام » الدمشقية تحت هذا العنوان نقطتف ما يلى :

ان أخلاق اليهود كما جاء فى كتبهم وفى القرآن فساد فى فساد .. ضيق بالحق ، وايمان بالباطل ، والشهوات تتنزى من أجسامهم والسنتهم وكل جوارحهم ، وفساد قلوب ، وتحلل اخلاق ، وانمياع وكراهية للخلق ، ومادية شرسة تسيطر عليهم ، وفزع من كل ذى قوة ، واستئساد على كل ذى ضعف ، أو من يحسبونه كذلك .

واليهودية خلق هو شر ما في الوجود ، وقد يكون من أخلاقهم من ليس منهم ، كما ترى في الولايات التي هي عبر المحيط ، فان اليهودية جعلت منهم يهودا خلقا ونحلة ، وان لم يكونوا جنسا وارومة ، ولذلك يحق للمؤرخ الذي يدرس النفوس أن يقول عن الأمريكان انهم يهود ، وان لم يكونوا من بني اسرائيل .. الم تر نائب كبيرهم الذي يزعم أنه مسيحي يقول عن اليهود انهم رسل الهداية في الأرض . قال ذلك وأناجيله تبين له محاولتهم قتل المسيح عليه السلام ، وأخبار الكتب المقدسة تقول انهم قتلة الأنبياء ، ولكنه يهودي النزعة والأخلاق .

وان الله تعالى قرر في كتابه الحكيم ضرب الذلة عليهم فقال : « ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس » وحبل الناس هم من نرى من امريكا ، وحبل الله هو اختياره للمسلمين لتركهم دينهم ، فابتلاهم باعداء الانسانية ليعودوا الى ربهم ، فان عادوا فان الله سيعيد اليهود الى مكانهم (ان تنصروا الله ينصركم) .

المقاومة في الأرض المحتلة :

نشرت « فتى العرب » المراقية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

المقاومة التي تلقاها سلطات الاحتلال الاسرائيلي في الأراضي العربية المغتصبة ، أمر طبيعي ، لا يمكن الهروب منه ولا حتى تلافيه بأي اجراء ، غير الخضوع لارادة الشعوب ، واحترام حريتها ، وافساح المجال أمامها لممارسة وجودها على أرضها ، تعيش تاريخها وحياتها متمسكة بحضارتها وقيمها .

فالتاريخ لم يحدثنا على امتداده ، عن شعب خضع للاحتلال واستكان له ، وانما كل فصوله ، نضال وتضحيات ، وقوافل شهداء لتحرير أرضه ، والخروج من الظلام المفروض عليه وممارسة وجوده من غير عوائق أو قيود .

والشعب العربي ، وهو يعيش في منطقة بالغة الحساسية والأهمية على خريطة الدنيا ، تعرض لكثير من الحملات والغزوات ، كما عرف على شكل واسع حلاوة الأنتصارات وكتب الكثير من سجلات البطولة والفتوحات ، يدرك تماما كيف يحطم القيود ويزيل الحواجز ، ويعود لأحضان الحرية ، يصنع تاريخه ، ويزيل عن أرضه معالم العدوان ، وكأن شيئا لم يتغير الا مضاعفة الايمان بالمستقبل ، ومتابعة العمل من أجل حياة أفضل .

وأبناء الضفة الغربية ، هم من هذه الأمة العريقة لا يمكن أن يغيروا من طبعهم أو يتنازلوا عن جزء من وجودهم وتاريخهم ، وارتباطاتهم بحضارة عريقة ولا يمكن — لطبيعة فيهم — أن يخضعوا للاحتلال الاسرائيلي أو يتجاوبوا معه ، وهم يعرفون طريق المقاومة ، وحياة النضال .

وسوف تظل اسرائيل تلاقي المتاعب وتجد نفسها في المواضع الصعبة ، ما دامت تقيم على الأرض العربية ، وهي لن تجد الاستقرار مهما طال بقاؤها ، فأبناء فلسطين والشعب العربي الذين دمروا الكثير من أساطير الاحتلال ، وقضوا على أعتى الحملات التخريبية ، والأم الفاتحين يعرفون الآن كيف يتخلصون من شيء اسمه الاحتلال الاسرائيلي ، والوجود الاستعماري كله على أرضهم .



اعداد : عبد المعطى بيومى

الكويت

● قام سمو امير البلاد المعظم بزيارة لايران ابتداء من ١٠ يناير الماضى .

● قام السيد طاهر يحيى رئيس وزراء العراق بزيارة البلاد لمدة اربعة ايام وقد حمل رسالة الى سمو الأمير المعظم من أخيه الرئيس عارف وقد اكد البيان الصادر عن المحادثات دعم التعاون العربى وضرورة عقد مؤتمر عاجل للقمة .

● صدر مرسوم أميرى بالغاء العمل بالأحكام العرفية ابتداء من أول يناير ١٩٦٨ بعد العمل بها منذ ٥ يونيو ١٩٦٧ .

● سلمت وزارة الأشغال ستة مساجد الى وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى احياء مختلفة من الكويت .

● تلقت وزارة الارشاد والأنباء دعوة من اللجنة الثقافية الوطنية التونسية لاقامة اسبوع ثقافى كويتى فى عدة مدن تونسية ضمن الموسم التونسى الذى ينتهى فى ١٩٦٨/٥/٣١ .

● بعثت الأمانة العامة للجامعة العربية مذكرة تطلب ترشيح الجهات الحكومية للمفكرين الذين تراهم للاشتراك فى الحلقة التى سيقيمها المستشرق الفرنسى المعروف جاك بيرك فى الخريف القادم حول النزاع العربى الاسرائيلى .

● احتفلت وزارة التربية فى يوم ١٨ يناير ١٩٦٨ بعيد العلم وقد أعطيت المكافآت للمتفوقين .

● طلبت مديرية التعليم السعودية تزويدها بأفلام تليفزيونية عن الثقافة والتعليم فى الكويت .

● زار البلاد وفد أعلامى ايرانى ردا على زيارة سعادة الشيخ جابر العلى السالم وزير الارشاد والأنباء .

الجمهورية العربية المتحدة

● تأجل انعقاد مؤتمر القمة العربى الذى كان مزمعا عقده فى ١٧ يناير ١٩٦٨ الى أجل غير مسمى بناء على اقتراح تقدمت به الجمهورية العربية المتحدة .

● احتفلت البلاد فى شهر رمضان الماضى بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن وقد أقيم إحتفال رسمى كبير بالأزهر حضره الرئيس عبد الناصر وكبار المسئولين ورجال السلك السياسى العربى والاسلامى .

● وجه فضيلة شيخ الأزهر بيانا الى الأمة الاسلامية بمناسبة عيد الفطر دعا فيه المسلمين لتوحيد الكلمة وجمع الشمل ومساعدة اللاجئين كما وجه بيانا الى العالم المسيحى داعيا الى التعاون والعمل على رفع العدوان على المقدسات الاسلامية والمسيحية .

● اعتمد السيد حسين الشافعى نائب الرئيس منهج التعليم الابتدائى بالازهر وهو يقوم على تحفيظ القرآن الكريم وتدريس المناهج الثقافية المؤهلة للالتحاق بالمعاهد الأزهرية الاعدادية وتدرس وزارة الأوقاف مشروعا لتعميم تحفيظ القرآن وعلومه .

● أفرج عن عدد كبير من الاخوان المسلمين كما رفع تحديد الاقامة عن ٩٠٠ شخص من المبعدين عن الريف وسمح لهم بالعودة الى دورهم .

● ستقوم هيئة قناة السويس باخراج السفن المحتجزة فى القناة وستتم هذه العملية تحت حماية عسكرية عربية .

السعوديـــة

● قام وفد فلسطيني لزيارة البلاد وجمع التبرعات لحركة المقاومة العربية ومساعدة اسر الشهداء ..

العـــراق

● كونت لجنة كويتية عراقية لتدعيم التعاون الاقتصادى بين البلدين .

الأردن

● قام جلالة الملك حسين بزيارة الى السعودية والقاهرة بعد تاجيل مؤتمر القمة العربى ..
● القت اسرائيل عدة قنابل على مخيمات اللاجئين فى الضفة الشرقية لنهر الأردن فى ساعات الصباح والضحى ايام العيد ثم كررت الاعتداء على الأردن .
● قطع راديو اسرائيل اذاعة صلاة عيد الفطر عندما بكى الخطيب وهو يقول هل هناك داع للشعور ببهجة العيد . وصاح المصلون صبرا صبرا فى جو مليء بالانفعال والتوتر .
● يوالى الفدائيون العرب مقاومتهم الشجاعة للاحتلال الصهيونى .
● الغيت احتفالات عيد الفطر وعيد الميلاد واقتصر فيهما على اداء الشعائر الدينية كما الغيت كذلك فى عدد من الدول العربية .
● صرح الشيخ عبد الحميد السائح بأن وفود ٢٢ دولة اسلامية اجتمعت بمناسبة مرور ١٤ قرنا على نزول القرآن وقد كونت لجانا لتنظيم الجهاد المقدس .

دمشق ــ اصدر مكتب جبهة التحرير الاريترية فى دمشق بيانا مصورا ابرز فيه اضطهاد الحبشة للمسلمين فيها كما بين مساعداتها المادية لاسرائيل وتدريب الضباط الاسرائيليين لفرق الفدائيين الاحباش لقمع الارتيريين المسلمين .

الرباط ــ دعا جلالة الملك الحسن علماء الاسلام لقضاء العيد فى ضيافته وأهدى الدكتورة بنت الشاطيء وسام الكفاءة الفكرية .

أخبـــار متفرقة

باريس : ندد الرئيس الفرنسى ديجول بالعدوان الاسرائيلى مرة أخرى فى مذكرة أرسلها ردا على بن جوريون وقد أكد الرئيس الفرنسى ديجول ضرورة انسحاب اسرائيل من الأرض العربية التى احتلتها كخطوة اولى للسلام .

الهند : اطلق سراح الشيخ محمد عبد الله الملقب بأسد كشمير الذى يتزعم حركة تقرير المصير لشعب كشمير. وقد اعتقل منــذ ١٩٦٥ وقد قال لمستقبليـــه الـ ٤ آلاف : انه لم يغير رأيه بسبب الاعتقـــال .

لندن : يقوم المركز الاسلامى فى لندن مع بعض الرجال المسلمين هناك بالاتصال مع هيئــة التعليم فى لندن لتدريس الدين الاسلامى للطلاب المسلمين بالمدارس .
اندونيسيا : طلب وزير الخارجية من الولايات المتحدة الامريكية الحد من المبشرين الامريكيين .

اقرأ في هذا العدد

صفحة

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الرياض : مكتبة المدينة ـ ص ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص ب ٢٢
جدة : الدار السعودية للنشر ـ ص. ب : ٢٠٤٣
بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة
دبى : ساحل عمان ـ ص ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى
دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبة بحرى ص.ب ٥

مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

